شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة مكة المكرمة

مخطوطة

تفسير سورة الفتح

المؤلف

محمد أمين محمود البخاري (أمير باد شاه)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة مكة المكرمة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفسير سورة الفتح

محمد أمين بن محمود الشهير
بأمير بادشاه البخاري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العلم صيد والكتابة قيد فقيدي بند ايله

برمول علم ايله كيار يعني ايت

يعني قفص هوان يسيت

العلم اولدر مذاقه ولاكن آخره دان تناقي

برمول علم ايله اولي فاهه در سهلي

آخره احلى من العسل

كمدينى ترلبه ماشي درغد ايرمادوه

اينى كتاب تفسير انا فتحنا تنظال فقه مكه

المشرفه در محمد مشرق نعوذ بالله

وزارة المعارف والشؤون
مكتبة مكة المكرمة

تفسير سوره انا فتحنا الك فتحا مبينا

تاليف محمد اميه الشهير بادشاه

العلم صيد والكتابة قيد فقيدي بند

برمول علم ايه ليار يعني ايت
يعني قفتهلوان بيسيت

العلم اولدمز مذاقته ولاكن آخره

برمول علم ايه اولي فاهه در سكني دان تتافي محمد ينني علم ايه

آخره احلى من العسل

محمد ينني ترلبه ماشه در فد ايرمادوه

اينى كتاب تفسير انا فتحنا تنطال فقه مكة
المشرفه در فد مشرق نعوذ بالله

وزارة الحج والأوقاف
مكتبة مكة المكرمة

تفسير سوره انا فتحنا الى فتحا مبينا
تاليف محمد اميه الشهير بامير داشاه

إن الله أخفى خمسًا في خمس أخفاء
أوليائه لأبي خلقه ٥ وأخفى بني
ليلة القدر في سائر الليالي ٥
وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوة
الخمس ٥ وأخفى الساعة الإجابة
في الليل ٥ وأخفى ساعة الإجابة
في يوم الجمعة ٥ أسهى من التقرب النبي
شيخنا محمد عالي مكة المشرفة الباهية عالم
كبير هو يقرر اربعة المذاهب في الحرم

صح ظهر
عصر مغرب
عشا أتو
بالقرب
ولم يخ
ليم ابن
سعيد رتوز
شيخ محمد
عالي عندهم
تنكار مفاتح
دير مهمة
تنكر مكة

تفحص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل حرمه لعباده بلدا امينا ووضع بيته
لبراة ذمم احد بنين ضمينا وامر سبنا به نبيه الجليل فرفع
ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل بتاسيس جبريل بعد
ماكاند فينا موا ول ماوضع علي الماعند خلق السما قبل
الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا فدحيت الارض تحته
وكانت به جنينا وزينه بجلاب القلوب من لديه
وجعل افيدة الناس تهوي اليه ومن امن من دخله وحصن
حصينا عروس تجلي كسلمي وليلي وبالايات البينات تجلي
وزاد فيها مقام ابراهيم جمالا وفي وجهها كفي بالحجر الاسود خالا
وفي جبهاجوي من عين زمزم ماء معينا وناد ي عباده الي
بيته العتيق بجاوا رجالا وعلي كل ضامر ياتين من كل فج عميق
وجمع بعرفات المذنبين من الانس والجان فخشعت الاصوات
يوميذ للرحمن ليسمع من الناد مين انينا وحنينا وجذب حبيبه
ملبيا الي بنيته الحرام وارضاه ان يرجع من الحديبية من غير
استلام فقال من قصر فهمه دون البلوغ الي كنه المرام والله
ماهذا الفتح لقد صددنا عن البيت والمقام فانزل تسلية
لنبيه

انا فتحنا لك فتحا مبينا سبحان من لم يزل كريما ولا يزال رحيما
ومن يكن الله له معينا فنعم معينا وخص بارفع المقامات
واعظم الكرامات سيد الاولين والاخرين وخاتم الانبيا والمرسلين
صلى الله عليه وعلي اله وصحبه اجمعين بتشريف خطاب انا
ارسلناك رحمة للعالمين وهو اعز من في الوجود لديه واحب
من في السجود اليه وجمع له بين اسميه في كتابه الكريم لقد
جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين
رؤف رحيم اما بعد فيقول العبد الضعيف المتشبث باذيال
رحمة الله الباري محمد امين الشهير بامير باد شاه البخاري
المنتسب الي من ينفع نسبه في الدنيا والعقبي قل لا اسلكم عليه
اجرا الا المودة في القربي ان سورة الفتح نزلت بتبشير من الله
بتفتيح العباد وظهرت بدعوة الحبيب بتباشير صبح المراد فطلعت
شمسا للسعادة لامعة بانوار السرور رافعة غمايم الهموم
عن ساحة الصدور وتراءت بعد تزولها المفتوح وتبدلت
لها مضايق الصدور بالشروح ومي مفتاح بلاريب
وعنده مفاتح الغيب فقصدت انا فسرها مقتفيا لاثار
السلف ومتتبعا لاسرار الخلف معترفا بالعجز عن التحقيق
وبالله العون والهداية والتوفيق فشرعت مستعينا بالله في
تحريرها محركا حلقة باب الفرج بتقريرها لعل الله ان
يجعلها للابواب المغلقة علي مفتاحا وللبالي المظلمة علي مصباحا
انه علي ما يشا قدير وباجابة دعوة المضطرين جدير وها انا

اشرع فاقول ان سورة الفتح نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الحديبية بين مكة والمدينة • وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انها نزلت بالمدينة والاول هو الصحيح صححه البخاري
وسلم وغيرهما جم غفير من الائمة الثقات من طرق كثيرة لا نطول
الكلام في هذا المختصر بذكرها • وما قيل انها مدنية لا ينافي
ما ذكرنا لان المدني في الاصطلاح ما نزل بعد الهجرة نزله بالمدينة
او غيرها كما ان المكي ما نزل قبلها • روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد نزلت علي الليلة سورة احب الي من الدنيا وما فيها
وفي رواية احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا
رواه البخاري لعل وجه الاحبية ما فيها من مغفرة ما تقدم من
ذنبه وما تاخر والفتح والنصر واتمام النعمة ورضا الله من
اصحاب البحوث ونحوها • فان قلت للحرب يقتضي كون الدنيا
محبوبة عنده وهو ازهد الناس فيها • قلت زهده فيها باعتبار
كونها وسيلة لحظوظ الدنيا ومحبته لها باعتبار كونها ذريعة
للعقبى فلا منافاة على انه يجوز ان يكون المعنى هي عندي احب من
الدنيا عندكم كما في قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة
فيكون المراد تفضيل محبته صلى الله عليه وسلم اياها على محبة من يحب
الدنيا قال الله تبارك وتعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الفتح
هو الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او غيره لانه مفعول ما لم
يظفر به واذا اظفره وحصل في اليد فقد فتح وما قيل من انه لا
عند الاطلاق الا المعنى الحقيقي ولا شك انه اذا اطلق الفتح انما

ينهم منه الظفر عنوة لا غير وقد يقال فتح البلد صلحا فلا يفهم الصلح
الا عند اقترانه به فالفتح فصار الفتح في الصلح مجازا فهو ممنوع لان
عدم انتهام الصلح عند الاطلاق لا يستلزم كون الحقيقة هي
العنوة لجواز ان يكون الحقيقة هو المعنى الاعم من كل منهما كما بينا
غاية الامر ان يكون اطلاقه في احدهما شايعا ينسبق الى الفهم عند
الاستعمال يدل على ما ذكرنا من العموم ما في القاموس وغيره من
الكتب المعتبرة في اللغة على ان تفسير الفتح في الاية بالظفر عنوة
انما يصح اذا لم يرد به صلح الحديبية واما اذا اريد فلا يستقيم
هذا الكلام كما لا يخفى • قال العلامة البيضاوي وعد بفتح مكة
والتعبير عنه بالماضي لتحققه او بما انعوله في تلك السنة كفتح
خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان
بعد ظهوره على المشركين حتى سالوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفتح
به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فقراهم وفتح
مواضع واد خل في الاسلام خلقا عظيما وظهر بالحديبية اية
عظيمة وهي انه نزح ما وها بالكلية فمضمض صلى الله عليه وسلم
ثم مج فيها فدرت بالماء حتى شرب منها كان معه انتهى • فان قلت
قد صحت الرواية عن انس رضي الله عنه ان المراد صلح الحديبية فلا
يجوز ان يفسر بفتح مكة • قلت قد صحت رواية اخرى عن عبد الله
ابن معقل انه قال قرا النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة سورة
الفتح فرجع فيها والمتبادر من قراءة صلى الله عليه وسلم السورة
في ذلك اليوم ان المراد من الفتح فتح مكة والترجيع تردد الصوت

لكرامة اصحاب الالحان • فان قلت هذا الشاذ لا يقاومهم تنصيص
انس رضي الله عنه • قلت ذلك موقوف عليه وفيه احتماله ان
يكون تفسيرا باجتهاده لا من السماع وهذا مرفوع اليه صلى الله
عليه وسلم مع الله مويد بقرائنه الة على ان المراد فتح مكة منها قوله
تعالى ويتم نعمته عليك وقد نزلت في فتح مكة اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي على بعض التفاسير والقران يفسر بعضه بعضا
ومنها قوله وينصرك الله نصرا كما قال في فتح مكة اذا جاء نصر الله
والفتح • ومنها قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فانه تعالى جعل المغفرة غاية الفتح ههنا كما اشار اليه في قوله
اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله واستغفره فان الامر بالاستغفار
بعد وجود النصر والفتح من الله تعالى بالنسبة الى نبيه وعند
بالمغفرة الشاملة على ما تقدم من ذنبه وما تاخر لعموم متعلق
الاستغفار ولزوم اجابة دعايه صلى الله عليه وسلم اما لزوم
الاجابة فلان لكل نبي يستجاب دعوته سيما نبينا صلى الله عليه
وسلم بعد ان امر بالاستغفار واما العموم في متعلق الاستغفار
فلحذف متعلق المغفرة ليذهب الذهن الى كل ما هو ممكن الذهاب
اليه كما عرف في موضعه • وعن عايشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا فتح مكة وقال الجمهور هو
فتح الحديبية وهو قول انس والشعبي والزهري قال ابن عطية
وهو الصحيح • واخرج البيهقي عن عروة قال اقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه والله

ما هذا

ما هذا بفتح لقد صدنا عن البيت وصد هدينا وعكف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورد رجلين من المسلمين خرجا فبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قول رجال من اصحابه ان هذا ليس بفتح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الكلام هذا اعظم الفتح
لقد رضي المشركون ان يردوكم بالراح عن بلادهم ويسالونكم
القضية ويرغبون اليكم في الامان وقد رأوا فيكم ما كرهوا وقد
اظفركم الله عليهم وردكم سالمين غانمين ماجورين فهذا اعظم
الفتح انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد وانا
ادعوكم في اخراكم انسيتم يوم الاحزاب ان جاوكم من فوقكم ومن
اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون
بالله الظنونا قالت المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح
والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وبالامور
منا فانزل الله سورة الفتح • الراح جمع راحة وهي الكف واول
مرتبة الدفع بعد تجاوز القوله الدفع بالراح ثم بالاصابع ثم
بالسلاح والمعنى رضوا ان يدفعوكم باكفهم تقية منكم وهذه
عبارة عن عجز المشركين واضطرارهم والقضية الصلح وقيل المراد
فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة بعد ما غلبوا منهم
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل
كتاب وهم وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن
عليكم فنزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم
سيغلبون في بضع سنين وقضية مباحثة ابي بكر رضي الله عنه

معهم ومزايدته في الخطر ما ذا في الاجابة بعد ما اخبره صلى الله عليه
وسلم عن معنى البضع مشهورة مذكورة في تفسير سورة الروم
فان قلت رعاية مطابقة الكلام مقتضى الحال تقتضي تقديم الفتح
كما قدم الحمد على الجلالة في قوله الحمد لله لان السياق لبيان الفتح
وما يترتب عليه • اقول اذا تاملت حق التامل وجدت ان المقام
اشد اقتضاء لتقديم المسند اليه بيان ذلك ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا مختلفين يومئذ في فهم الحكمة البالغة
في امر الفتح فمنهم من كان في غاية الكمال من اليقين والثبات بحيث لم
يضطرب قلبه اصلا وكان يعرف بالتحقيق ان الذي اراه الله لرسوله
بعد وعد النصر والفتح وهو احسن وجوه النصر والفتح في ذلك
الوقت كابي بكر الصديق رضي الله عنه على ما ورد من صحاح الاخبار
في هذا الباب وسنذكر نبذة منها ان شا الله تعالى ومنهم من اعتراه
بعض اضطراب لشدة صلابته في الدين وغيرته على الحق مع عدم
اطلاعه على كنه الحكمة الغامضة لعدم بلوغه الى مقام الصديق
الاكبر كعمر بن الخطاب رضي الله عنه كما يدل عليه الخبر المشهور
ومنهم من عرف وجود الفتح من وجه ولكنه كان محجوبا برؤية
الاسباب بمقتضى البشرية عن مشاهدة حقيقة توحيد الافعال
واسناد الفتح اليه سبحانه من غير التفات الى جانب الاسباب
من كثرة عساكر المسلمين وغيرها كما افاد قوله تعالى ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم ومنهم من انكر اصل الفتح بالكلية كما سيتو واذا
تمهد هذا فنقول توجه الخطاب في هذا المقام وان كان الى النبي

صلى الله عليه وسلم ظاهرا لكن المقصود افادة غير من الامة لانه
كان يعتقد مضمونه فبهذا الخطاب وشاركه صلى الله عليه وسلم
في هذا المعنى اكمل متابعيه ثاني اثنين رضي الله عنه فاذن فالمخاطب
الخطاب ترجع الى غيرها فاذا نظرنا الى حاله من اضطراب رايه في
كونه فتحا او انكره حسن ان يجب تاكيد تحقق الفتح بالنظر اليه
ولا شك ان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي يدل على كون الفعل
امرا مقررا لا نزاع فيه بمفروغا عنه وانما الكلام في تعيين الفاعل
على ما تقرر في علم المعاني فافاد تقديم المسند اليه تحقق الفتح على
الوجه الاكمل • واذا نظرنا الى حال المحجوبين برؤية الاسباب عن
توحيد المسبب في التاثير حق التوحيد قلنا يتنزلوا منزلة من
يعتقد مشاركة الاسباب مع المسبب في التاثير واخرج الكلام
على خلاف مقتضى الظاهر وقدم المسند اليه لافادة الحصر كما في
قولهم انا سعيت في حاجتك فيكون القصر قصر قلب او ايضا لما
كان امر الفتح مخفيا عليهم بحيث انكره بعضهم ناسب المقام تعظيم
شانه وبيان ظهوره كما يدل عليه قوله فتحا مبينا تنبيها على عظم
خطيهم وظهوره ولا شك ان تكرار اسناد الفتح الى ضمير المتكلم
وهو الله سبحانه خصوصا بصيغة الجمع المراد منها العظمة دون
العدد يدل على عظمة الفتح لان الملك لا يقول لمخاطبه الاعظم فزدتك
اعطيناك دائما ولا سيما انا اعطيناك • فان قلت الحصر المذكور
يدل على نفي اسناد الفتح الى النبي صلى الله عليه وسلم بالحقيقة
فيلزم من هذا انه اذا اضيف الفتح اليه صلى الله عليه وسلم كان

الاسناد مجازيا ولم يقل احد ان قولنا فتح الامير البلد مجاز قلنا
الاية من قبيل ومارميت اذ رميت الاية توضيحه ان مدار الحقيقة
اللغوية في اسناد الفعل الى الفاعل على كون الفاعل مظهرا للفعل
من حيث قيامه به بحسب الظاهر لا باعتبار كونه موثرا فيه والنفي
الذي تضمنه الحصر مورده كونه موثرا في الفعل لا كونه مظهرا له
فلا يزاحم الحقيقة اللغوية وقيل فتحنا بمعنى قضينا والفتاح
القاضي بلغة اليمن يعني قضينا لك فتح مكة ويمكن الجمع بين الاخبار
الواردة في تفسير الفتح بان من فسره بالحديبية تضمن تفسيره
فتح مكة وغيره لانه تسميتها فتحا باعتبار كونه وسيلة لما بعدها
من الفتوح فاندرج غيرها من الفتوح بطريق التضمن والاشارة
ومن فسره بفتح مكة اقتصر على ذكر ما هو المقصد الاعظم ومراده
فتح مكة مع ما كان وسيلة اليه ومقدمة له من الفتوح والله اعلم
ليغفر لك الله يقال غفر الله له ذنبه غفرا وغفورا وغفرانا
غطى عنه وعفى عنه واللام للعلية واتفقوا اهل الحق على انه لا يكون
تعليل افعال الله تعالى بشيء من الاغراض والعلل الغائية ورد قولهم
على ذلك جهابذة الحكماء وطوائف الالهيين وخالفهم المعتزلة
وليست بخالية عن الفوائد والمنافع حتى يكون عبثا تعالى الله عن ذلك
اسبابا باعثة على اقدامه وعللا مقتضية لفاعليته فلا تكون
اغراضا حتى يلزم استكماله بها وما ورد من الظواهر الدالة على
تعليل افعاله فهو محمول على الغاية والنفعة دون الغرض والعلة
الغائية واضطرب كلام المفسرين في بيان وجه العلية في هذا

المقام

المقام وذلك لان الفتح المنسوب الى الله تعالى لا تظهر عليته بالنسبة
الى بعض الامور المذكورة في حيز اللام كالغفران والهداية
ومدخول اللام انما يكون معلولا للمتعلقة فقال الطبري وابن
كيسان المعنى انا فتحنا لك فسبح بحمد ربك واستغفره ليغفر لك
الله بقرينة ان الفتح المذكور ههنا هو المذكور في سورة النصر
وندبه صلى الله عليه وسلم الى التسبيح والاستغفار بعد النصر
والفتح بقوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره وكذا هنا ولا يخفى
ان عطية وهذا ضعيف من وجهين احدهما ان سورة النصر انما
نزلت في اخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم نا عته له نفسه على ما قال
ابن عباس رضي الله عنهما عند ما سأله عمر رضي الله عنه عن ذلك
وثانيهما ان في الاية تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالتشريف
ولا يتاتى على تفسيرهما لان كل واحد مخاطب بالتسبيح والاستغفار
لكي يغفر له انتهى وانت خبير بان تاخير سورة النصر عن سورة
الفتح انما يستلزم عدم كونه قرينة المحذوف وقت النزول بالنسبة
الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واما بالنسبة الى من يتامل
فيه بعد نزول سورة النصر فالتاخير نزولا لا يصلح لان يكون
قرينة للمتقدم ومن الجائز تحقق قرينة اخرى دالة على المحذوف
وقت النزول فتامل واما الوجه الثاني فتغيير وجه لان
التشريف باعتبار شمول الغفران ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وذلك لا يوجد في غير وقيل المراد ان الله تعالى فتح لك لكي يجعل
ذلك امارة وعلامة لغفران ذلك فاللام حينئذ

لام العاقبة والمآل نحو فالتقطه ما لفرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فلا يرد عليه ان هذا
المعنى لا يستفاد من العبارة لان مدخول اللام نفس الغفران لا جعل
الفتح علامة له اللهم الا ان يقال ان للغفران وجودا خارجيا
ووجودا علميا والمنظور في حيز اللام هو الغفران من حيث وجوده
العلمي لا الخارجي كانه قال انا فتحنا لنعلم غفرانك وذلك لان
من انعم الله عليه بمثل هذا الفتح في الدنيا يليق بكرمه في الاخرة
الغفران الشامل لما تقدم من ذنبه ولما تاخر فيلزم من هذا ان
الله تعالى فتح ليجعله امارة الغفران هذا غاية التوجيه فيه ولا
يخفى ما فيه • وقيل هذا التفسير يدل على وقوع الغفران قبل
نزول السورة وهو ممنوع لجواز تحقق الغفران وتعيين علامته
معا قاله العلامة الزمخشري • فان قلت كيف جعل فتح مكة علة المغفرة
قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الاربعة وهي
المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز
فكانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك بين
عز الدارين واعراض العاجل والاجل انتهى • وحاصله انه لم يجعل
كل واحد من الامور المذكورة في حيز اللام معللا للفتح بل جعل
المعلول اجتماع الامور المذكورة المفهوم من العطف فكان مدخول
اللام العلة في الحقيقة هو الاجتماع المذكور وبيان العلية ان
اجتماع الامور المذكورة موقوف على تحقق كل واحد منها وتحقق
كل واحد منها موقوف على علة فالاجتماع المذكور موقوف على
كل منها ولا شك ان الفتح علة لاتمام النعمة والنصر العزيز

فلزم

فلزم ان يكون علة الاجتماع المذكور قال المحقق التفتازاني فان قيل
الامر بالعكس لان العلة ما دخلت لام التعليل لا ما تعلقت به
قلنا ذلك بحسب التعقل واما بحسب الوجود فالفعل علة لما دخلت
اللام كالضرب للتاديب وان كان التاديب علة الاقدام
عليه انتهى • ولا يخفى عليك ان قوله واما بحسب الوجود فالفعل
علة الى آخره لا يصح على اطلاقه لان قولهم قعدت عن الحرب جبنا
اللام فيه مقدر اي لجبن مع ان الجبن علة القعود لا العكس اللهم
الا ان يراد من لام العلة في كلامه لام الغرض التي تسمى لام المنفعة
في كلام الله تعالى ثم قال وتحقيق ذلك ان العطف على مدخول اللام
قد يكون الاشتراك في متعلق اللام ويكون هذا بمنزلة تكرير
اللام وعطف الجار والمجرور على الجار والمجرور وقد يكون لا لاشتراك
في معنى اللام ويكون من قبيل جاءني غلام زيد وعمرو اي الغلام
لهما انتهى • يعني ان مدخول اللام وما عطف عليه قد يشتركان
في التعلق بكونه علة لكل واحد منهما على حدة والى هذا اشار بقوله
بمنزلة تكرير اللام وعطف الجار والمجرور الى آخره وحينئذ معنى
اللام وهي المعلوله بكمالها حاصل في كل منهما كما عرفت وقد
يشتركان في معنى اللام بمعنى ان معنى اللام وصف قائم بمجموعهما
لا بكل واحد منهما على حدته كزيد وعمرو في غلام زيد وعمرو فان
النسبة الخاصة الاضافية التي وضعت بازائها اللام المقدرة
بين المضاف والمضاف اليه انما يعقل بين الغلام وبين مجموع الاثنين
من حيث هو مجموع لا بينه وبين كل منهما مستقلا لان الغلام

مشترك بينهما لا يختص باحدهما وحينئذ لا يشتركان في متعلق اللام
كما في القسم الاول بان تعلق بكل منهما مستقلا بل المجموع منهما ولا
شك ان مقصوده جعل المعطوفات الاربعة في الاية من القسم
الثاني فيلزم اشتراكها في معنى اللام وثبوت المعلولية للمجموع
لا للكل واحد فيكون علة مجموع الاربعة لا لكل منها ولا يخفى عليك
انه لا معنى لكون الفتح علة للمجموع لا باعتبار وصف الاجتماع
فظهر ان التقرير الذي قدمناه في بيان مراد العلامة اوضح هذا
والاظهر في بيان العلية ما افاده العلامة البيضاوي وهو ان
الفتح لما كان مسببا عن مجاهدات عظيمة ومساع بليغة من النبي
صلى الله عليه وسلم يصح ان يكون علة لكل واحد من المعطوفات
الاربعة باعتبار مباديه وان لم يكن باعتبار ذاته منسوبا اليه
صلى الله عليه وسلم • اقول بل الفتح علة باعتبار مباديه وذاته
ومايترتب عليه اما باعتبار المبادي فقد ذكر واما باعتبار الذات
فلانه من اعماله الصالحة صلى الله عليه وسلم واسناده الى الله تعالى
لا ينافي ذلك كما قاله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فان قوله تعالى اذ رميت دليل على ثبوت الرمي له ظاهرا وان كان
منتفيا عنه باعتبار تاثيره الخارج عن طوق البشر مسندا الى الله
تعالى بذلك الاعتبار كما يدل عليه قوله ولكن الله رمى واذا نظر
الى الحقيقة وجدت العباد كلهم في افعالهم واعمالهم باسرها على
هذا الوجه لاستقلاله سبحانه في خلقها من غير مدخلية لهم غير
انها مسببة باراداتهم والارادة ايضا مخلوقة سبحانه لكنه تعالى

وتقدس

٩

التواب

وتقدس فيسند بعض افعالهم اليه سبحانه تارة اليهم اذا كان
الاثار المترتبة عليه خارجة عن طوقهم تعظيما له ومنة عليهم
وتعليما لهم سر التوحيد فلو كان اسناد افعال العباد اليه سبحانه
وتعالى ما نافى كونها وسيلة لحصول درجات لهم طا صح ترتيب
على شئ من اعمالهم لاستناد الكل اليه سبحانه في الحقيقة واما
باعتبار ما يترتب عليه فلانه تزايدت بعده الفتوح وظهرت
قوة الاسلام وانكسرت شوكة الكفر ورايت الناس يدخلون
في دين الله افواجا فنورت البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا
بنور الاسلام واقامة حدود الله وشعايره وشدة قواعد الحاج
من كل فج عميق وغفر من المذنبين في كل عام ما لم يعلم عدده الا الله
وهكذا الى يوم القيمة الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى فالعمل الذي
يترتب عليه هذه الاثار كيف لا يصلح ان يكون علة لان يغفر
ما تقدم من ذنبه وما تاخر واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم
والنصر العزيز • فان قلت كان مقتضى الظاهر ان يقول
لنغفر لك • قلت التنعات ومبالغة في تكميل الامور الموعودة
لانه اذا اسند الوعد الى الجلالة المشتملة لجميع الكمالات الالهية
علم انه يقع على الوجه الذي تقتضيه تلك الكمالات باسرها
وهذه الاشارة لا تستفاد في الاسناد الى غيرها والله اعلم وقيل
اللام للقسم وكسرت بحذف النون من الفعل تشبيها بلام كي
ورد بان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها الفعل ولو جاز لجاز
ليقوم في معنى ليقومن • واجيب بان الكسر قد علم بانه شبهت

بلام كي واما النصب فلم ان يقول ليس هذا نصبا لكنها الحركة التي
تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف وبعد
هذا هذا القول ليس بشيء اذ لا يحفظ من لسانهم والله ليقوم زيد
ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل منصوبا
وذكره ابو حيان روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لما انزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية
اجتهد في العبادة فقيل يا رسول الله ما هذا الاجتهاد وقد غفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال سفيان الثوري ما تقدم
يريد قبل النبوة وما تاخر كل شيء لم يعمله عن مقاتل مثله وقيل
ما تقدم قبل الفتح وما تاخر بعده • وقيل ما تقدم قبل نزول
هذه الاية وما تاخر بعدها • وقال عطا الخراساني ما تقدم من
ذنبك يعني من ذنب ابيك ادم وحوى وما تاخر من ذنوب امتك
وقيل من ذنب ابيك ابراهيم وما تاخر من ذنوب النبيين وقيل
ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين وذلك
انه صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل يدعو ويقول اللهم ان تهلك
هذه العصابة لا تعبد في الارض ابدا وجعل يردد هذا القول
ورفعات فاوحى الله اليه من اين تعلم اني لو اهلكت هذه العصابة
لا عبدا ابدا فكان هذا الذنب المتقدم واما الذنب المتاخر
فيوم حنين لما انهزم الناس قال لعمه العباس ولابن عمه ابي
سفيان ناولاني كفا من حصبا الوادي فاخذ بيده ورمى به في وجوه

المشركين

المشركين فشاهت الوجوه حتى لا ينصرون فانهزموا القوم عن اخرهم
فلم يبق احدا الا امتلات عيناه رملا وحصبا ثم نادى في اصحابه
فرجعوا فقاتلهم عند رجوعهم لو لم ارمهم لم ينهزموا فانزل
الله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكان هذا
الذنب المتاخر • وقال ابو علي الروذباري يقول لو كان لك ذنب
قديم او حديث لغفرته لك قال ابن عطية وهذا كله معترض
وقد اجمع العلماء على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر والصغائر
التي هي رذايل وجوز بعضهم الصغائر التي ليست برذايل واختلفوا
هل وقع ذلك من محمد صلى الله عليه وسلم او لم يقع انتهى كلامه
فان قلت كيف يدعى اجماع العلماء على عصمة الانبياء عن الكبائر
مع وجود خلاف الحشوية في العمد والاكثرين في تجويزهم صدور
الكبائر عنهم سهوا او على سبيل الخطا في التاويل وان كان المختار
خلافهم • قلت المراد اجماعهم على عصمتهم عن الكبائر على سبيل العمد
واما الحشوية فلا عبرة بخلافهم قال الامامية لا تجوز الصغائر
على النبي ولا على الامام والاية ترد عليهم قال القاضي عياض في
الشفا فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب
والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين في
معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما ذكر في القران والحديث
الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم
على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويستغفر من لا شيء عليه
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو

والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما
يحملهم على الخوف عنده جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ
به غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرد نها بالاضافة
الى علو احوالهم كالسيئات وما قاله العلامة البيضاوي في تفسير ما تقدم
وما تاخر من قوله جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه يمكن
حمله على المذكور في الشفا ويتم نعمته عليك قاله ابن عباس رضي
الله عنهما في الجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة والطائف
وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر • قال العلامة البيضاوي
تعالى
باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويجوز ان يراد كل نعمة انعم الله
بها عليه وانما ها اتباعها على اكمل وجه مما يليق بحاله في القاموس
ونعيم الله عطيته وهي النعم الحسي والعقلي والدنيوي والاخروي
وكذا النعمة وفيه ايضا النعمة بالكسر المسرة ويهديك صراطا
مستقيما اي الى صراط فحذف الجار وعدي الفعل وقد يتعدى بغير
حرف الجر في القاموس الهدي بضم الها الرشاد والدلالة وهداه الله
وهداه الله الطريق واليه وله عرفه قال العلامة الزمخشري هو
الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ويقال لمهدي في موضع
المدح ولان اهتدى مطاوع هدى ولكن يكون المطاوع في خلاف
معنى الاصل فاستدل على هذه بالوجوه الثلاثة واعترض المحقق
التفتازاني على الوجوه واجاب عن الكل ثم قال وعورضت الوجوه
بقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى واجيب بانه

مجاز

مجازا عن افاضة الهداية ورد بان الاصل الحقيقة والحمل في الكلام
ما يستدل به على كل من المذهبين ولم يوجد قاطع لاحد الفريقين
لكن كتب اللغة تشهد لمذهب اهل الحق فهو الراجح قال العلامة البيضاوي
صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسيم الرياسة ولا
يظهر وجه التخصيص بما لا يقال لحال المخاطب وسياق الكلام الدال
على الفتح والنصر المستلزم لحصول الرياسة الكاملة قرينة دالة
على ما قال لانا نقول التتميم فيد وابلغ وما ذكر مندرج تحت العموم
اندراجا اوليا فالاولى ما في المدارك من قوله وتبتك على الدين
المرضي فاندرج فيه مع امور اخر من وظايف العبودية والمعارف
الالهية وانما فسرنا التثبيت لان المترتب على الفتح دون اصل
الهداية فانها كانت حاصلة له صلى الله عليه وسلم قبله وينصرك
الله نصرا عزيزا وضع المظهر موضع المضمر لما قلنا في قوله تعالى
ليغفر لك الله والالتفات بذكر صفتي كما انه لما اضمر في الجملتين
السابقتين تشوف المخاطب الى ذكره صريحا فتفضل عليه باظهاره
موضع الاضمار تعطفا عليه وتلطفا كما قيل •

• اعد ذكرنعمان لنا ان ذكره • هو المسك ما كررته يتضوع •

قال العلامة الزمخشري نصرا عزيزا فيه عز وضعة او وصف بصفة
المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه الذي هو المنصور فيكون
من قبيل عيشة راضية وفي النصر العزيز هو الذي معه غلبة
العدو والظهور عليه وغير العزيز هو الذي ليس معه غلبة العدو
والظهور عليه مضمنة الحماية ودفع العدو فقط عن ابن جرير انه

قال يريد بذلك فتح مكة وخيبر والطايف **هو الذي انزل السكينة**
في قلوب المومنين السكينة كالبهيمة للمرتبات يريد الثبات
والطمانينة بسبب الصلح والامن بعد الخوف وغب القتال وهي
جملة مبتداة لبيان نعمة اخرى مختصة بالمومنين بعد ذكر النعم
المتعلقة به صلى الله عليه وسلم وفي الحقيقة تعود منفعة كل من
النعم المذكورة الى الكل. فان قلت ما النكتة في ايراد المسند اليه
والمسند معرفتين باضمار الاول وموصولية الثاني اقول لان المراد
الحكم بمعلوم عند المخاطب على معلوم عنده لجهله بالنسبة بينهما
او بتنزيله منزلة الجاهل بها كقولك لزيد التايب لمن يعلم ذات
زيد مسمى باسمه ويعلم ان في البلد تايبا ولم يعلم ان زيدا مولد
التايب وذلك لان المخاطبين ارتابوا في امر الفتح او انكروه
او اضافوا الى الاسباب العادية مع علمهم بانزال السكينة ولو كانوا
عارفين بهذه المعرفة انانزال السكينة والطمانينة عند ذلك الخوف
العظيم والياس الشديد من الله العزيز الحكيم بعد ما كاد تزيغ قلوب
فريق منهم لما صدر منهم ذلك فلم يكن حالهم يخلو عن احد الامرين
اما عدم الاطلاع على هذا المعنى بالكلية او الاطلاع لا على وجه
فتنزل منزلة العدم واما الاضمار فهو مقتضى الظاهر بعد قوله
تعالى وينصرك الله وايضا هذه الجملة كالبرهان على الجملة السابقة
لكون مضمونها مسلما عند ذوي العقول كلهم لان كون التاثير
في القلوب اثر للقدرة القديمة مما لا يحوم حوله ريب فمن اعترف
به لا ينبغي له ان يتوقف في الاعتراف بان الفتح ايضا من اثارها

لان

لان نسبتهما الى المعدة وان على السوية واللائق بكمالها ان لا يخرج من
دايرة تاثيرها شيء في الكون فضمون الجملة الثانية تنبيه على مضمون
الاولى **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** قال العلامة البيضاوي
يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها فان قلت
كيف يتصور ازدياد الايمان وانه لا يزيد ولا ينقص لان الواجب
هو اليقين وانه لا يقبل التفاوت قلنا الخواص التصديق يقبل
الزيادة والنقصان بوجهين بحسب الذات وبحسب المتعلق فانه
مما الكيفيات النفسانية المتفاوتة قوة وقولكم الواجب اليقين
والتفاوت لا يكون الا لاحتمال النقيض. قلنا لا نسلم ان التفاوت
لذلك الاحتمال فقط اذ يجوز ان يكون بالقوة والضعف بلا احتمال
النقيض ولا يلزم ان يكون ايمان النبي واحاد الامة سواء وانه
باطل اجماعا ولقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمين قلبي فانه
يدل على قبول التصديق اليقيني الزيادة والظاهر ان الظن الغالب
الذي لا يخطر معه احتمال النقيض بالبال حكمه حكم اليقين في
كونه ايمانا حقيقيا فان ايمان اكثر العوام من هذا القبيل كذا ذكر
مما افاده العلامة المحقق الشريف واما قبول الزيادة والنقصان
باعتبار المتعلق فلان افراد ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم متعددة
داخلة من التصديق الاجمالي فاذا علم واحد منها بخصوصه وصدق
به كان هذا تصديقا مغايرا لذلك المجمل وخارجا من الايمان ولا شك
ان التصديقات التفصيلية تقبل الزيادة فكذا الايمان قال ابن
عباس رضي الله عنهما ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشهادة

ان لا اله الا الله فلما صدق به المومنون زادهم الصلاة فلما صدقوا
بها زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكوة فلما صدقوا بها
زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم اكمل لهم دينهم فقال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وقوله تعالى ايمانا تمييز عن نسبة
الازدياد الى ضمير المومنين فيكون هو العامل في الحقيقة وقوله
مع ايمانهم ظرف متعلق بيزدادوا ولا يخفى عليك ان كلمة مع تدل
على مصاحبة ما بعدها مع ما قبلها في ثبوت متعلقه فيلزم ازدياد
الايمانين معا وهو خلاف المقصود لان المقصود كون الاول
المزيد والثاني المزيد عليه كما يشعر به اضافته الى ضمير المومنين
قلت الظرف متعلق بالاجتماع الذي تضمنه ليزدادوا فكانه
قال ليزدادوا ايمانا بمجتمع مع ايمانهم فلا يلزم مشاركة الايمانين
ومصاحبتهما في الازدياد بل في الاجتماع فقط **ولله جنود**
السموات والارض في القاموس الجند بالضم العسكر والاعوان
وصنف من الخلق يجي واحد وفي المدارك ان لله جنودا منها الخزان عن ابن
عباس رضي الله عنهما يريد الملائكة والشياطين والانس والجن
وتقديم الظرف لافادة الحصر كما يشعر به لام الاختصاص اي
ان الجنود كلها لله لا لغيره يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض
تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما يقتضيه علمه وحكمته
فالجملة كالدليل على ان الوعد المدلول عليه بقوله وينصرك الله
نصرا عزيزا كائن لا محالة بل على مضمون قوله انا فتحنا ايضا كما
لا يخفى وكان الله عليما بمصالح العباد **حكيما** فيما يقدر ويدبر

قال الجويني الحكيم المتقن في الامور وقريب منه ما قيل الحكمة
فعل الشيء على ما ينبغي وفيه اشارة لما يكاد ان يخلج في الصدور
من انه اذا كان له الجنود كلها فلاي شيء ما نجز الوعد حين وعد به
من غير تاخير فان في التدريج حكما ومصالح للعباد لا يحيط بها
الا هو ومن جملتها حصول المراتب العلية والدرجات الرفيعة
للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين بكثرة المجاهدات والصبر على
مخالفة النفس والايمان بان الله لا يخلف الميعاد الى غير ذلك
ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها علة لما يستنبط من سياق الكلام من اول السورة الى
هنا على ما افاده العلامة الزمخشري حيث قال وانما قضى ذلك
ليعرف المومنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب
فيثيبهم ويعذب الكافرين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وخالفه
العلامة البيضاوي في بيان التعلق وتبعه في بيان وجه العلية
حيث قال علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اي يدبر امرهم بان يسلط المومنين
ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار
والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكانه اختار هذا على ذلك لقرب
ما يستنبط فيه التعلق وعدم ظهور مدخلية بعض الامور
المذكورة فيما تقدم كمغفرة ما تقدم من ذنبه صلى الله عليه وسلم
وما تاخر وهداية الصراط المستقيم وانت خبير بان ما ذكره
العلامة الزمخشري اظهر واوضح لان اسناده تعالى الافعال

المذكورة من الفتح والمغفرة وغيرهما الى ذاته المقدسة يدل على فضا
ذلك دلالة واضحة بخلاف دلالة اثبات الجنود له على التدبير
المفسر بتسنيط المومنين فانه يحتاج الى زيادة تامل مع
المقام مع ان قرب ما يستنبط منه فيهما سيان باعتبار المنتهى
ولا يخفى مدخلية كل من المغفرة والهداية المتعلقتين الى النبي صلى
الله عليه وسلم في ادخال المومنين الجنة والكافرين النار لما غاظهم
من ذلك لان المراتب العالية الحاصلة للنبي الشفيع للامة
يوجب قبول شفاعته فيهم على الوجه الاكمل وهدايته موجبة
لهدايتهم الموصلة الى الجنة • وقيل متعلق بفتحنا ويجب عليه ان
لا يجوز تعلق حرفي الجر من جنس واحد في معنى واحد بفعل واحد
من غير عطف او ابدال او تاكيد وقد تعلق ليغفر لك الله فتحنا
فلا يصح تعلق ليدخل به من غير تحقق شيء من الشروط المذكورة
اقول يجوز ان يكون قوله ليدخل بدلا عن قوله ليغفر لك الله مع
ما عطف عليه بدل الاشتمال قال المحقق الرضي فيه اشتمال
المتبوع على التابع كونه دالا عليه اجمالا ومتقاضيا له بوجه ما
بحيث تبقى النفس عند ذكر الاول متشوفة الى ذكر الثاني منتظرة
له فيجيء الثاني ليلخصا لما اجمل في الاول مبينا له ولا شك ان تلك
الدرجات العالية المذكورة للنبي صلى الله عليه وسلم تدل اجمالا
ادخال امته الجنة والكفار النار وقيل متعلق بانزل ويجب عليه
مثل ما ذكرنا لتعلق ليزدادوا به ويمكن تقدير الجواب المذكور
ههنا ايضا لان ازدياد الايمان يدل اجمالا على ادخالهم الجنة

وادخال

وادخال الكافرين النار لما غاظهم وعلى هذا يكون قوله ولله جنود
السموات وما بعده جملتين معترضتين كما ان في التوجيه الذي ذكر
قبل هذا قوله هو الذي هو وما بعده جملة معترضة وهذا عندي
احسن التوجيهات لعدم الاحتياج فيه الى تقدير المتعلق وحسن
التقابل بين النعمة المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح
المترتب عليه المغفرة المذكورة مع ما عطف عليه وبين النعم
المنسوبة الى الامة من انزال السكينة المترتب عليه ازدياد الايمان
وادخال الجنة وما عطف عليه والله اعلم • وقيل متعلق بجميع ما ذكر
من الفتح والانزال وما تعلق بهما والتدبير المفهوم من فحوى الكلام
وهذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون من باب التنازع فيعمل الاول
او الاخر على المذهبين فيه ويجذف في غيره • وثانيهما ان يتعلق
بمقدر يسلمها فيرجع الى توجيه الزمخشري وقيل متعلق بيزدادوا
وهو اقرب التوجيهات بحسب اللفظ لقرب المتعلق المذكور صريحا
وما بين المتعلق والمتعلق اعتراض • وقيل بدل اشتمال من قوله
يزدادوا وانى لهذا يكون متعلقا بانزل وقد اشرنا اليه ولا يذهب
عليك زيادة فيه وهو انه نوع بيان للحكمة المذكورة في قوله يقال
حكيما والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل
للجمر الذي يبقى من الاثاث ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كان التقييد بالتابيد في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا لكن المراد
به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن كذا
افاده العلامة البيضاوي في اول القرآن مع زيادة بيان وقيل

قرا النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قالوا هنيئا لك يا رسول الله فما ذا لنا فنزل ليدخل المومنين
والمومنات الاية ولما فرغ من تبشيره بين نعمته عليه فقال ويتم نعمته عليك فالوا هنيئا لك فنزل
واتممت عليكم نعمتي فما قال ذلك يهديك صراطا مستقيما نزل في خولاة
يهديكم صراطا مستقيما ولما قال وينصرك الله نصرا عزيزا نزل
وكان حقا علينا نصر المومنين وهو كقوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي ثم قال هو الذي يصلي عليكم ذكره الامام القشيري
والجنة المرة من الجن وهو مصدر رجنه اذا ستره ومدار التركيب
على الستر سمي به الشجر المظل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر
ما تحته ستره واحدة ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة غلبة
المظلة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه
ستر في الدنيا ما اخذ فيها للبشر وجمعها وتنكيرها لان الجنان
على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن
وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون
وفي كل واحد منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الاعمال والعمال وقوله تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها
كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق
انهار الجنة تجري من غير اخدود واللام في الانهار للجنس او
والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير اسن
الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول دون
البحر كالنيل والفرات والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز

او المجاري نفسها واسناد الجري اليها مجاز ويكفر عنهم سياتهم يغطيها
ولا يظهرها كذا ذكر العلامة البيضاوي في القاموس كفر الشيء يكفره
ككفره وفيه التكفير في المعاصي كالاحباط في الثواب فعلى هذا تقدم
يعز باعتبار كونه في معنى الاذهاب فكانه يقول يذهب عنهم
سياتهم وعلى الاول وهو المعنى الذي فسره العلامة يجوز ان يكون
المتعدية باعتبار تضمنه معنى الازالة او باعتبار نفسه والمعنى
يستر عنهم بحيث لم يروها بان ينبيهم ذكرها لان لا يخجلوا وهذه
نعمة عظيمة لا نظير لها رزقنا الله بجاه نبيه صلى الله عليه وسلم
والسيئة الخطية والذنب • فان قلت كان مقتضى الظاهر ان
يقدم تكفير السيئات على ادخال الجنة في الذكر لتقدمه عليه في
التحقق اقول اذا كان المعنى يستر عنهم سياتهم بانسيانهم ذكرها يجوز
ان يكون ذلك بعد ادخالهم في الجنة تتميما للنعيم لانهم لو تذكروا
ما فعلوا في الدنيا لم يهنالهم نعيم الجنة او نقول هذه نعمة من
حيث اصل الادخال في الجنة والاصل مقدم على المزيد عليه وعلى المعنى
الاول فالتقديم للمزيد للاهتمام بشانه لانه المقصود الاصلي
والعفو وسيلة اليه وكان ذلك اي الادخال والتكفير اشير
اليهما بما يشار به الى البعيد لعلو رتبتهما عنده وذلك لانهم
لا يستحقونهما بعلمهم بل حصولهما لهم من فضل الكريم والله ذو
فضل عظيم عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع
او دفع ضر لان دخول الجنة يتضمن جميع الكمالات الصورية
والمعنوية سيما اذا كانت السيئات التي تذكرها موجب الخجل والالم

مستورا عن الادراك عيانا واثرا وعند المحاله من الفوز قدم لرغبة
الفواصل ولان كينونة الفوز عند الله يوجب عظمته وشرفه
فقدم لمزيد الاهتمام بشانه والفوز النجاه والظفر بالخير
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات المنافق
من يظهر الايمان ويستبطن الكفر واصله من نفق اليربوع اذا اخر
من نافقائه وهي احدى جحرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهي
القاصعاء يدخلها فاذا اتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء
براسه وخرج منها شبه به المنافق لاظهاره الايمان وكتمانه
الكفر فاذا قالوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم والمشرك من اشرك بالله اي كفر سمي به لانه يثبت
بدا لها اخر قال العلامة البيضاوي عطف علي يدخل الا اذا جعلته
بدلا فيكون عطفا على المبدل يعني اذا جعلت يدخل بدلا من يزدا
لانه يصح عطف يعذب عليه لان العطف على البدل يوجب بدية
وهي لا تصح لان ازدياد ايمانهم لا يشتمل تعذيب المنافقين
الا لو اشتمل المتبوع على التابع كونه دالا عليه اجمالا ومتعلقا
له بوجه ما كما ذكرناه نقلا عن المحقق الرضي ولا شك ان ازدياد
ايمان المومنين الموجب لادخالهم الجنة علة لتغيظ المنافقين
الموجب لتعذيبهم والعلة دالة على المعلول في الجملة متقاضية
له بوجه ما وايضا يتجه على عطفه على يزداد انه يلزم حينئذ
كونه مدخولا للام المتعلق بانزل وكيف يكون انزال السكينة
في قلوب المومنين علة لتعذيب المنافقين فان اجيب بانه

يستلزم

يستلزم غيظهم الموجب تعذيبهم قلنا فما جوابكم هو جوابنا
ويجوز ان يكون عطفا على يدخل على ان يكون يدخل بدلا عن قوله تعالى
ليغفر لك الله مع ما عطف عليه بدل اشتمال فان اتمام الفتح وهو
من اجزاء المبدل يقتضي ادخال اعدائه من المنافقين والكفار المنافق
وتعذيبهم فيكون مشتملا اياه الظانين بالله ظن السوء الظن الحكم
الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم وقد يوضع موضع العلم
والسوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه
فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد
فعل سوء وسوء ظنهم اعتقادهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمومنين
ولا يرجع الى المدينة ولا احد من اصحابه حين خرجوا الى الحديبية
وان المشركين يستاصلونهم ويجوز تعميم سوء ظنهم بحيث يشمل ما مر
وغيره من معتقداتهم الفاسدة قال العلامة البيضاوي ظن السوء انما احتيج الى تقدير الموصوف معرفا لكونه صفة معرفا
باللام ويجوز ان يكون بينهما اضافة بيانية لما بينهما من العموم
والخصوص من وجه فتامل وانما قال الظانين بالله لانها لرسوله
والمومنين ليكون ادل على قبح ظنهم وفساده وفيه اشارة الى
ان عدم نصر الرسول والمومنين مما يجب تنزيه الله سبحانه عنه
عليهم دايرة السوء الدايرة ما احاط بالشيء اسم فاعل من دار
دورا ودورانا من دوايرالزمان وهي انقلاب الامور فان احوال
الدهر كالحرب والدولة تدور بين الناس قال الله تعالى تلك
الايام نداولها بين الناس واسم بمعنى الهزيمة على ما قاله الجوهري

والسوء بالفتح مصدر ساءه اي فعل به ما يكره وبالضم الاسم منه
وقري بهما والمعني عليهم دايرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين
لانخطامهم فنوحايق بهم ودائر عليهم وقيل بمعني الهلاك والدمار
وقيل السوء بالفتح غلب في اذ يضاف اليه ما يراد ذمه من كل
شيء وبالضم جاء مجري الشر الذي هو نقيض الخير والجملة دعائية
ويجوز ان تكون خبرية وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم
جهنم الغضب بالتحريك ضد الرضي غضب عليه وله اذا كان حيا
وغضب به اذا كان ميتا واللعن الابعاد اليكلي من الخير فان قلت
من محسنات الوصل التناسب بين الجملتين الفعليتين في المضي
والمضارعة وكلام الله تعالي لكونه في اعلي درجات البلاغة
لايفوته شيء من المحسنات فكيف عطف قوله غضب الله علي يعذب
قلت كونه من المحسنات انما يكون عند عدم المانع وههنا مانع وهو
انه اريد في احديهما المضي وفي الاخري الاستقبال لان الغضب
واللعن والاعداد قد تحقق والتعذيب سيتحقق كما في قوله تعالي
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وقوله تعالي فريقا كذبتم
وفريقا تقتلون قال العلامة البيضاوي عطف لما استحقوه في
الاخرة علي ما استوجبوه في الدنيا وكانه اشار بهذا الكلام الي
نكتة تقديم التعذيب علي الغضب وما ذكر بعده مع انه متاخر
عنها بحسب الرتبة لان الغضب واللعن والاعداد اسباب التعذيب
ببيانه ان التعذيب وان كان متاخرا عنها في الوجود لكنه باعتبار
وجوبه المترتب علي ما يوجبه وهو النفاق والشرك الواقع في الدنيا

متقدم

متقدم عليها باعتبار ما يترتب عليها لكونه مستحقا في الاخرة
ولا يخفي ما فيه والاولي ان يقال في وجه التقديم ان الترتيب
في الامور المذكورة بحسب الذكر انما وقع علي اسلوب الترقي من
الادني الي الاعلي في الوعيد لان مرتبة التعذيب دون مرتبة
الغضب في الوعيد لان الغضب يستلزم التعذيب علي وجه
التشديد صيما مع اسناده الي الجلالة واللعن اشد من الغضب
واما الاعداد فهو نتيجة الغضب واللعن والنتيجة متاخرة عما
ينتجها والاوجه ان يحمل قوله تعالي ويعذب المنافقين الي اخره
علي عذاب الدنيا من الغيظ واشتعال نار الحسد في احشائهم
والتفضيح وغيره والقتل والاسر للكافرين وحينئذ تولا المحقق
في الدنيا والاخرة في بيان العطف متعلق بمقدر تقديره الكلام
ما استوجبوا وقوعه في الدنيا وما استحقوا وقوعه في الاخرة
فتدبر واما حسن التقابل بين وعد المؤمنين وبين وعيد الفريقين
والمشركين يقتضي تقديم التعذيب لانه مقابل لادخال الجنة
فان ذكر التعذيب يدل علي ادخال النار بالالتزام ثم قال والواو
في الاخيرين اي ذكر الواو في قوله ولعنهم واعد لهم والموضع
موضع الفا اذ اللعن سبب الاعداد والغضب سبب له اي للعن
لاستقلال الكل اي كل واحد من الغضب واللعن والاعداد في
الوعيد بلا اعتبار السببية يعني لو ذكر الفا في الاخيرين لم يفهم
ان كل واحد منها وعيد مستقل بل يفهم ان الغضب من حيث انه
سبب للعن من حيث انه سبب للاعداد وعيد مستقل اقول من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البين ان غضب الله والعياذ بالله منه في حد ذاته وعيد عظيم
مستقل واللعن اعظم منه واعداد جهنم لهم قبل وقت العذاب
بالوف من السنين امر يدهش العقول وكون الاول سببا للثاني
والثاني سببا للثالث لا يستلزم ان يكون المجموع وعيدا واحدا
ولا يكون كل منها وعيدا مستقلا لا يقال اذا كان كلا منها
وعيدا مستقلا لم يبق لافادة السببية بين الوعيدات في سياق
الوعيد فايدة لعدم مدخليتها فيه حينئذ لانا نقول ان اللعن
وان كان بالنظر الى ذاته وعيدا شديدا لكنه اذا لوحظ فيه
كونه مسببا عن الغضب يزداد مهابة وكذا الاعداد فان
ما بعد الفا السببية قيد لما قبلها في الحقيقة • فاذا قيل غضب
فلعن فاعد كان المعنى غضب مقيدا بكونه سببا لعن مقيد
بكونه سببا للاعداد فالمقصود بالافادة اما القيد الاخير
او مجموع المقيد لا كل واحد منها • قلت عدم كون كل واحد
منها مقصودا بالافادة لا يستلزم عدم كونه وعيدا مستقلا
لان الاستقلال في كونه وعيدا غير الاستقلال في كونه مقصودا
بالافادة غير انه لو كان كل مما يستقل في الوعيد مستقلا في
الافادة ايضا كان احسن لكن كان يفوت حينئذ زيادة
المهابة على ما ذكرا اللهم الا ان يقال اذا لم يكن كل منها مقصودا
بالافادة لم يكن في العبارة اشعار باستقلاله في الوعيد
وان كان في نفس الامر مستقلا فيه بحيث يظهر استقلاله
بادنى تامل في مفهومه فتامل وساءت مصيرا اسم من

افعال

فعال الذم بمعنى بئس في انشاء الذم والمصير منصوب بمعنى المرجع
والمخصوص بالذم ههنا محذوف بقرينة ذكره في ما سبق اي جهنم
والفاعل ضمير مبهم مفسر بالتمييز اعني مصيرا لان كلمة نعم و بئس
لا يحتملان غالبا ضمير ما تقدم وكذلك سا والتاء ليث باعتبار
المخصوص بالذم ولا يضر تذكير الفاعل كما بين في موضعه والجملة
انشائية فلا يجوز عطفها على ما قبلها الا بتاويل كما افاده العلامة
الزمخشري في قوله تعالى وبشر المومنين بعد قوله فان لم تفعلوا
بقوله ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل
من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف
ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين
انتهى حاصله قطع النظر عن خصوصية صيغة الانشاء والاخبار
في حق العطف والنظر الى خلاصة المقصود من الضمونين وهو
وصف الثواب والعقاب للفريقين وهذه الجملة في جانب الوعيد
بعد ذكر التعذيب وما بعده نظير قوله تعالى وكان ذلك عند
الله فوزا عظيما في كون كل منهما فذلكة لما قبله ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما قد سبق تفسيره كرر
لما فيه من الدلالة على قدرته الكاملة المستلزمة لوقوع جميع
ما ذكر من الوعد والوعيد لان مالك رقاب الجنود كلها من العليين
والسفليين من بداء الخلق الى الابد بحيث يتصرف فيهم كيف
يشاء من الايجاد تارة والاعدام اخرى الى غير ذلك لا يجرم انه
مالك لجميع الكائنات لان ارباب النفوس والعقول مع توهمهم

واستقلالهم بحسب الظاهر اذا كان ناصيتهم بيده فكيف بغيرهم
من الحيوانات والنباتات والجمادات تحت سلطان قهره بالطريق
الاولى ومالك الكل المنزه عن شايبة النقص قادر على الوفاء بوعده
ووعيده ولا يخلف الميعاد لان الخلف نقص لا يعتاد الخلف الوعيد
ليس بنقص لان وعيد الكفار وعد بالنسبة الى المؤمنين على ان
كمال عظمة الالوهية وسطوة الجبروتية تقتضي مظاهر لصفتي
اللطف والقهر على الوجه الاكمل وايضا الوعيد اذا كان مشتملا على
اخبار مفصلة كاحوال اهل النار وتخاصمهم في مواضع كثيرة فلا
شك ان خلقه يستلزم كون جميع ذلك اكاذيب تعالى شانه عن
ذلك علوا كبيرا والعزيز الغالب على امره ولذلك سمى الملك عزيزا
ولعله تعالى قال في الاول عليما حكيما وههنا عزيزا حكيما
اشارة الى ان علمه بمصالح العباد اقتضى الصلح اولا وعزته وغلبته
على امره تقتضي النصر العزيز ثانيا **انا ارسلناك شاهدا** الارسال
في الاصل التوجيه والمراد هنا بعثه صلى الله عليه وسلم الى الخلق
كافة عن قتادة انه قال شاهدا على امته بالبلاغ وشاهدا على
الانبياء انهم بلغوا قاله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا
بك على هؤلاء شهيدا فان قلت البلاغ فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وكيف يشهد على فعل نفسه • اقول الشهادة ليست باعتبار تسمية
البلاغ اليه بل باعتبار كونه من الله اليهم بواسطته فحقيقة الشهادة
راجعة الى ان الله تعالى قد اقام حجة على عباده بارشادهم اليه
بالمعجزات الباهرة وقيل شاهدا على امتك باعمالهم من طاعة او

والاول اظهر لان ترك ذكر المشهود عليه يناسب التعميم ولان الشهادة
على الكل من خصايصه صلى الله عليه وسلم فهي اولى بالارادة وقيل
شاهدا عليهم يوم القيمة فهو شاهد افعالهم اليوم والشهيد عليهم
يوم القيمة وهذا مروي عن سعيد بن جبير وهو قريب من المعنى
الثاني ونصب شاهدا على انه حال مقدرة ان اريد بالشهادة اداؤها
او محققة ان اريد تحملها وتقديم المسند اليه على الخبر الفعلي للتاكيد
وتعظيم شان الارسال والمرسل لما بينا في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
بينه وبين انا فتحنا فان ذلك بيان لما اعين به الرسول
بعد الارسال وهذا بيان لما هو المقصود منه **ومبشرا** قدم
اخبار بما يسر المخبر حتى يظهر اثر السرور في بشرته ولذلك قال
الفقها البشارة الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبده من بشرني
بقدوم زيد فهو حر فاخبره فراى عتق ولم يلزم لو قال من
اخبرني عن قدومه فاخبره وهو صادق لم يعتق ولو قال من
اخبرني عن قدومه اجيبا واشتقاقه من البشر وهو ظاهر جلد الانسان
وجه المناسبة ظهور اثر التبشير في البشرة والمراد اخباره بما
وعد للمؤمنين في الدارين مما يوجب غاية سرورهم **ونذيرا**
والنذير المنذر والانذار الاعلام والتحذير والمعنى انا ارسلناك
مبشرا تبشر من اطاع الله بما اعد لهم من الجنة واللقا وساير النعم
ونذيرا تنذر من عصاه بالنار وما يتبعها من ساير العقوبات
قدم الشهادة على البشارة والانذار لكونها اعم باعتبار المتعلق
لانه يندرج فيه جميع الامم والانبيا والمطيع والعاصي بخلاف
البشارة فانها مخصوصة بالمطيع من امته وبخلاف الانذار فانه

خصوصي بالعاصي منهم واما تقديم البشارة على الانذار فلسبق الرحمة
على الغضب وسعتها قال الله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء لتؤمنوا بالله
ورسوله يوحده ويالحساب ويالبعث بعد الموت وبرسالة رسوله
اذ بجميع ما امر الله ان يؤمن به وهو الاظهر والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والامة فانه كما يجب على الامة الايمان برسالته كذلك
يجب على الرسول الايمان بها اولم على خطابه بمنزلة خطابهم وحذف
نون الجمع لتقدير ان بعد اللام وقرا ابن كثير وابو عمر وليؤمنوا بالياء
وكذا يعزروه ويوقروه ويسبحوه واختاره ابو عبيد لذكر المؤمنين
قبله وبعده فاما قبله فقوله ليدخل المؤمنين واما بعده فقوله ان
الذين يبايعونك والباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم
قال العلامة الزمخشري الضمير في ليؤمنوا للناس المدلول عليه بقوله
انا ارسلناك لانه يرد على المرسل اليهم وتعزروه اي تعظموه
وتفخموه قاله الحسن والكلبي وقال قتادة تنصروه وتمنعوا عنه
ومنه التعزير في الضرب دون الحد لانه مانع عن الاتيان بما
يوجبه وقريب من هذا ما قاله العلامة البيضاوي وتعزروه بتقويته
دينه ورسوله وتوقروه التوقير التعظيم والترزين فان
حمل التعزير على المعنى الاول يكون هذا تاكيدا لما قبله وان حمل على
المعنى الثاني يكون تاسيسا وهو الاولى وتسبحوه قال العلامة
الزمخشري من التسبيح او من السبحة وتبعه العلامة البيضاوي حيث
قال في تفسيره وتنزهوه او تصلوا له لان تسبيح الله تعالى تنزيهه

وتبعيد

وتبعيد عن جميع ما لا يليق به والمراد اعتقاد تنزهه مع الاقرار
في القاموس السبحة الدعاء وصلاة التطوع فاذا اريد به الصلوة كان
فيه الحذف والايصال مع التجريد عن قيد التطوع واليه اشار العلامة
بقوله او تصلوا له واما تفكيك الضمائر بجعل الاولين للرسول
والثالث لله تعالى بسبب ان التعزير والتوقير لا يستعملان في
حقه تعالى ففيه بعد لا يناسب بلاغة القران وعدم استعمالهما
في حقه ممنوع لان التعزير اذا كان بمعنى التعظيم والتفخيم فالامر
ظاهر وان كان بمعنى النصر والاعانة فالمراد اعانة دينه ورسوله
واما التوقير فلا اشكال فيه وانما يتوهم الاشكال في التعزير
لانه من الاضداد يستعمل في اللزوم والضرب ايضا فتامل ولا يذهب
عليك حسن المقابلة بين النعم المعدودة الفايضة من الله تعالى
وبين الخصال المحمودة المطلوبة من العباد شكرا له على تلك النعماء
مع رعاية اللف والنشر المرتب وهي الارسال والشهادة والبشارة
والانذار وما يقابلها الايمان والتعزير والتوقير والتسبيح فشكر
نعمة الارسال الايمان بالله والرسول وشكر نعمة شهادة الرسول
التي تعتبر العباد على العبادة التعزير الذي هو الاعانة لدينه
وشكر نعمة البشارة بالنعم الموجبة لتعظيم من ينعم بها التوقير
وشكر نعمة الانذار الموجبة لترك المنهيات وما لا يليق بمقام
العبودية التسبيح الذي هو تنزيه المعبود عما لا يليق به وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها سبحان من اتى جوامع الكلم يغوص في بحارها
العارفون لعلكم اتزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون

بكرة واصيلا قال العلامة البيضاوي غدوة وعشيا او دايما
والغدوة اول النهار والعشي اخره وقد يراد بهما الدوام عرفا فكانه
اكتفاء بذكر طرفي النهار عن الكل وبذكر النهار عن الليل لان النهار
مع كونه وقت تفرقة المال اذا كان مشغولا بتسبيحه فالليل اولى به
فعلى هذا يكون المراد من التسبيح التنزيه لا الصلوة لانه تعالى ما جعل
في الدين من حرج • فان قلت من اين يكون دوام التنزيه • قلت نعلم انه
بالمداومة اكثر الاوقات واريد بالتنزيه ما يعم دلالة الحال
والمومن اذا بلغ درجة الكمال في الايمان تصير عادته البشرية
من الاكل والشرب والنوم وملامسة النساء الى غير ذلك عبادات
وذلك لحسن نيته وقصده من كل منها ما يتوسل به الى القربة و
يصل الى هذا المقام الاعند تنزهه عن الكدورات البشرية وصفا
باطنه وتخلقه باخلاق الله تعالى وحينئذ تصفو جميع اوصافه
واحواله من الادناس • فالعارف اذا نظر بنور الله الى كل من احواله
المطهرة من الارجاس يتذكر تنزه ربه المنعم عليه بنعمة الطهارة
فاذن جميع احواله صحبة بلسان الحال باعتبار الدلالة المذكورة
فان قلت التنزيه باعتبار دلالة الحال ليست باختيارية والتسبيح
المامور به لا يكون الا اختياريا • قلت قد يكون فعل العبد مامورا
به باعتبار مباديه الاختيارية الموصلة اليه من المجاهدات والرياضات
وان لم يكن في نفسه اختياريا كقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون
فان الموت على ملة الاسلام باعتبار ذاته ليس تحت اختيار العبد
بخلاف مباديه من الاعمال الصالحة والاستقامة عليها والله تعالى

اعلم

اعلم هذا اذا اريد بهما الدوام واما اذا اريد حقيقة الوقتين
فوجه تخصيصهما ان كلا منهما وقت اجتماع الملايكة التي هي حرسة
الليل والنهار لان حرسة الليل انما يطلعون بعد ما ان حرسة النهار
ينزلون في اول النهار وفي اخر النهار عكسه فكل منهما وقت اجتماع
الفريقين نازلين طالعين ولمن يسبح في هذين الوقتين شاهدين
او ان اول النهار وقت تلافي ما فاته من الليل بسبب النوم والغفلة
واخره وقت الاستغفار عما وقع في النهار وفيه اشارة الى ان العبرة
بالبداية والخاتمة اذا كانت على الصلاح والسداد لا باس بما يقع
على الوسط كما ورد في الحديث من ان ما يقع من الذنوب بين الصلوتين
يرتفع بهما ان الحسنات يذهبن السيات • وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان المراد بالتسبيح ههنا صلوة الفجر وصلوة الظهر
والعصر ولما ذكر ان المقصود من ارسال الرسول الايمان بالله ورسوله
ونصرة الدين اراد ان يذكر من هو اكمل المومنين الموصوفين
بالوصف المقصود من الارسال فقال ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله المبايعة والبيعة العهد سميا لان المبايعين
يبيعان احدهما عهده كالمتبايعين عند البيع عن عبادة بن
الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ان نقول في الله لا تاخذنا لومة
لائم وعلى ان ننصره اذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه انفسنا
وازواجنا وابنائنا ولنا الجنة فمن وفى وفى الله له ومن نكث فانما

يبايعونك ويبيعها في ضمن الحصر والجواب ان المعنى ان الذين
يبايعونك في الحقيقة بل يبايعون الله لانه المقصود بمبايعتهم
فان قلت حقيقة المبايعة وهي الحمد وقد تحققت من المومنين
الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصح نفيها بحسب الحقيقة كما لا يصح
بحسب الصورة • قلت ليس المراد نفي تلك الحقيقة من حيث هي
بلا تاويل بل بتنزيلها منزلة العدم كما ان نور الشمس يمنع ظهور
الكواكب فتصير كانها معدومة بيان ذلك ان الكمل من الموحدين
الواصلين الى مقام الاحسان يعبدون الله كانهم يرونه فيغلب
عليهم شهود الحق تعالى وتقدس بحيث ينطوي سلسلة الوسائط
عما بين الشاهد والمشهود فيسقط سايل الاضافات من درجة
الاعتبار عند ظهور سطوة سلطان التوحيد فكانهم بايعوا الله
لا غير حين بايعوا رسوله يد الله فوق ايديهم من المتشابه
واختلف في تفسير المحكم والمتشابه والراجح ان ما اتضح معناه
هو المحكم فيشمل النص والظاهر والمتشابه بخلافه فيشمل المجمل
والمؤول وجمهور اهل السنة منهم السلف واهل الحديث على
الايمان به وتفويض المراد منه الى الله تعالى وتنزيهه سبحانه
عما لا يليق به مما يفهم منه بحسب الحقيقة اللغوية وذهبت
طايفة من اهل السنة الى تاويله على ما يليق بجلاله تعالى وهذا
مذهب الخلف قال الاشعري ان اليد صفة ورد بها الشرع

والذي

والذي يلوح من معنى هذه الصفة انها قريبة من معنى القدرة
الا انها اخص والقدرة اعم كالمحبة مع الارادة والمشية فان في
اليد تشريفا لازما • وقال الدميلي اليد في الاصل كالمصدر عبارة
عن صفة لموصوف ولذلك مدح سبحانه بالايدي مقرونة
مع الابصار في قوله اولي الايدي والابصار فلم يمدحهم بالجوارح
لان المدح انما يتعلق بالصفات لا بالجوامد وفيه انه يمتنع
ذو مال والمال من الجوامد • وقال العلامة الزمخشري لما قال
يبايعون الله اكد تاكيدا على طريق التخييل فقال يد الله فوق ايديهم
يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين
هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام
وانما المعنى تقرير ان عهد الميثاق مع الرسول كعهده مع الله من
غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
انتهى وتبعه العلامة البيضاوي حيث قال اي حاله او استيناف مؤكد
له على سبيل التخييل انتهى • اقول بيان ذلك انه لما شبه مبايعة
الرسول صلى الله عليه وسلم بمبايعة الله تشبيها بليغا حذف
اداة التشبيه كقولهم زيد اسد واصل التركيب ان الذين يبايعونك
كانما يبايعون الله ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس
بالمبايع تشبيها مضمرا في النفس تحققت هناك استعارة بالكناية
اما على راي صاحب التلخيص فهي عبارة عن التشبيه المضمر في
النفس واما على راي صاحب المفتاح فهي عبارة عن لفظ المشبه
المستعمل في المشبه به باد عاء دخول المشبه في المشبه به وكونه

مطلب يد الله فوق ايديهم
قف بالفتح
شبكة الألوكة www.alukah.net

من جنسه كما اذا اثبت المنيه ويراد بها السبع بادخالها في جنس السبع
ادعاء واعتبارا ان السبع له فرد ان حقيقي وهو الحيوان المفترس
وادعائي وهو المنيه فالمنيه المستعمله في السبع الادعائي استعارة
بالكناية على رايه وههنا لا يمكن اعتبار رايه والا يلزم استعمال
الجلالة في غير الذات المقدسة وهو لا يجوز اجماعا واما على راي
غيرهما فهي عبارة عن اسم المشبه به المتروك صريحا المضمر في النفس
تشبيه المذكور بسماه المرموز اليه بذكر لوازمه فهي قوله
انشبت المنية اظفارها لفظ السبع المشبه بسماه المنية تشبيها
مضمرا في النفس استعارة بالكناية ولا شك انه غير مذكور لكنه
قد رمز اليه بذكر بعض لوازمه وهو لفظ الاظفار فالاستعارة
بالكناية فيما نحن فيه على زاي هم لفظ المبايع المرموز اليه بذكر
المبايعة واليد واذا عرفت هذا فقوله الاستعارة التخييلية
التي اشار العلامة اليها بقوله على طريق التخييل عبارة عن اثبات
اليد التي هي من لوازم المشبه به اعني المبايع للمشبه المذكور
وهي قرينة الاستعارة بالكناية وهذا على راي صاحب التلخيص
واما على راي غيره فهي عبارة عن لفظ اليد المثبتة للمشبه
المذكور لكن الفرق بين مذهب السكاكي ومذهب الجمهور انه
يقول ان الاستعارة التخييلية ما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا
بل هو صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقق الحسي والعقلي
كلفظ الاظفار في قوله الهذلي واذا المنية انشبت اظفارها
فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال اخذ الوهم في تصوير

بصورته

بصورته واختراع لوازمه لها فاخترع لها مثل صورة الاظفار
ثم اطلق عليها لفظ الاظفار ولا يمكن اعتبار مذهبه فيما نحن فيه
تعالى الله عن ان يثبت له صورة وهمية مخترعة مولدة من لفظ
اليد وقد صرح العلامة بان المراد منها يد رسول الله التي تعلو
يد المبايعين لكنها اضيفت الى الله لنكتة ذكرها بالمقول كلام
العلامة ههنا يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل
في مادة لا يتصور ما اعتبر فيه من الصورة الوهمية اللهم الا
ان يقال انه لم يعترف بوجود التخييل ههنا فتامل والجمهور
على ان المراد من الاظفار معناه الحقيقي لكنه اثبت للمنية مجازا
استعارا بان المنية من كمال مشابهتها بالسبع استحقت ان يثبت
لها لوازم السبع وتتصور بصورته وقول العلامة اكدنا كيد
على طريق التخييل معناه ان التشبيه البليغ في قوله تعالى انما
يبايعون الله افاد ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله
بلا تفاوت والاستعارة بالكناية المقرونة بالتخييلية ايضا
تفيد هذا المعنى كما عرفت فيما نصصناه فتكون الجملة المشتملة
على الاستعارتين تاكيد الجملة المشتملة على التشبيه البليغ
وليس المراد التاكيد النحوي بل ما هو مصطلح ارباب المعاني
في الجملة المذكورة بعد جملة اخرى عند تقرر مضمون الثانية
مضمون الاولى ولهذا اتى بالجملة الثانية بغير عطف وانما
ذكر العلامة التخييل دون الكناية لانه المذكور صريحا ولاشتمال
الكناية فاكتفى بذكر احد المتلازمين عن الاخر فان قلت ان

المشبه به في التشبيه المضمر الذي جعل التخييل قرينة له اما المطلق او الخاص وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الاول لا يصح جعل يد الرسول من لوازم المشبه به كما يفهم من كلام العلامة لعمومه المشبه به وخصوص يد الرسول وعلى الثاني يرد عليه ان اليد في قوله تعالى يد الله لعمومها لا يختص يد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا دلالة للمقام على الخاص باحدى الدلالات الثلاث فكيف يصح قوله يريد به يد الرسول • قلت لنا ان نختار الشق الاول ونجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وارادة خصوصية اضافتها الى الرسول بقرينة المقام او الشق الثاني ونقول ان اليد وان كانت تعم الايادي كلها لكنها مقرونة بما يخصها وهو قوله تعالى فوق ايديهم لان اليد الموصوفة بفوقية ايدي المبايعين المذكورين في قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله انما هي يد النبي صلى الله عليه وسلم لا غير فعلى هذا التخييل عبارة عن اثبات يد الرسول للمشبه وهذا كله مبني على ظاهر كلام العلامة وحمل التخييل المذكور فيه على ما هو مصطلح علم المعاني من الاستعارة التخييلية واما ان حمل على المعنى اللغوي فان اضافة اليد الى المرء عن الجوارح تعالى وتقدس مجرد تخييل وتصوير لقصد المبالغة والتاكيد على ما عرفت فلا حاجة الى الاعتبارات المذكورة وهو اسلم لكنه بعيد عن عبارته لانه جرت عادته في تفسيره باستعمال الالفاظ الاصطلاحية في معانيها المصطلحة ولهذا اطنب الكلام فيه والله اعلم بمراده

دوي

وفي انما يبايعون الله اي لاجل الله ولوجهه فمن نكث اي نقض العهد والضمير العايد اليه محذوف لوجود القرينة فانما ينكث على نفسه تعدية بعلى باعتبار تضمنه معنى المضرة او الظلم فالمعنى فمن نقض العهد المذكور في قوله ان الذين يبايعونك الآ فانما ينقضه ظالما في نفسه فلا يتعد ضرر نكثه الا عليه ذكر العلامة الزمخشري في تفسير هذا المحل قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وعلى ان لا نفر فمات احدنا الا جديني قيس كان ممنافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ولا يخفى عليك ان هذه الرواية تدل على ان المنافق المذكور ما حضر مجلس المبايعة ولا بايع فكيف يتحقق في حقه نقضها ونقض العهد فرع وجوده ويمكن ان يجاب عنه بان الذي خالف المبايعين في اصل المبايعة وفي موجبها لكن بايع ونقض في الاثم بل هو اشد اثما فيدخل في النكث مجازا فيصح الاستثنا عند تعميم الناكث بحيث يشمل الحقيقي والحكمي او نقول انه وان لم يحضر تحت الشجرة بصيانة الله تعالى اهل بيعة الرضوان عن خلطة المنافق لكنه اظهر بعد ذلك كونه مشاركا لهم في المبايعة والتزام موجبه كما هو شان المنافقين فيتصور نقضه حينئذ بلا تاويل وهذا التوجيه اقرب والله اعلم وكلمة من يجوز ان تكون شرطية او موصولة لكن الموصولية تقتضي كون الصلة معلومة عند المخاطب ومعلوميتها الركاكة من حيث الجنس فظاهر وان كان من حيث العهد فيصح عند اطلا

على

النبي صلى الله عليه وسلم على حاله المنافق المذكور وقت نزوله الاية
الكريمة **ومن اوفى بما عاهد عليه الله** في القاموس وفي بالعهد
كوعي وفاء ضد غدر كاوفى وعاهده اي عقد موثقا بينهما والمعنى
من وفى بعهد عاهد الله على ذلك العهد وتعدية المعاهدة
الى الجلالة بعلى باعتبار تضمنها معنى الاتفاق فكان المتعاهدين
يتفقان على موثق بينعقد بينهما وفي عهده وقرا حفص عليه
بضم الهاء **فسيؤتيه اجرا عظيما** الاجر الجزا على العمل وهو
الجنة قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الاية وانما قال ههنا فسيؤتيه ولم يقل فيما
يقابله فسيعذبه عذابا اليما وما اشبه ذلك بل قال فانما
ينكث على نفسه اشعارا بان الثواب من الله فالعذاب من
انفسهم كما قال عز من قايل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك وانما قدم وعيد الناكث على وعد الوفا لان
التخويف ادخل في الاهتمام بشان الوفا ورعاية للفواصل والاية
نزلت في بيعة الرضوان وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر فسنوتيه
بالنون واختاره الفراء وقرا الباقون بالياء وهو اختيار ابي
عبيد لقرب اسم الله منه **سيقول لك المخلفون من الاعراب**
شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالنا
فاستغفر لنا لما ذكر ما يوجب كمال المدح في حق المبايعين
المجاهدين باموالهم وانفسهم في سبيل الله لكمال رسوخهم و
ثباتهم
على الايمان عقبه بذكر ما يوجب كمال الذم في حق المتخلفين

المتزلزلين

المتزلزلين في الدين المتعذرين باعذار كاذبة موجبة افتضاحهم
قال مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما يعني اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم والديل وهم الاعراب الذين تخلفوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد السير الى مكة عام الحديبية
معتمرا لما بعدما استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن
البيت وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب فتثاقلوا عنه
وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره اي وسطه بالمدينة
وقتلوا اصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى
المدينة واعتلوا بالتشاغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم
من يقوم باشغالهم فنزلت ● وقبل لما سار رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى خيبر حين انصرف من الحديبية تخلف عنه اناس
من الاعراب فلحقوا باهاليهم فلما بلغهم فتح خيبر عرسوا راليه
وقد كان الله امره ان لا يعطي احدا تخلف عنه من مغنم خيبر شيا
اقول نزول السورة بين مكة والمدينة والتعبير عنهم بالمخلفين
يرجح القول الاول لان ظاهر الكلام يدل على انهم كانوا موصوفين
وقت نزول السورة بالتخلف وفي قوله تعالى من الاعراب اشارة
الى غاية شرح نفاقهم لقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا
في القاموس العرب بالضم والتحريك خلاف العجم مونث وهم
سكان الامصار وعام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد
له وجمع اعاريب والمخلف من خلفه فتخلف اي اخره فتاخر

قال العلامة البيضاوي وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش وصدهم والاهلون جمع اهل وتيامى اهلات على تقديرتا التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وقرى شغلتنا بالتشديد للتكثير والشغل بالضم وبضمتين وبالفتح وبفتحتين ضد الفراغ يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قال العلامة البيضاوي تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار وكونهم كاذبين في الاعتذار ظاهر لا يحتاج الى تاويل لان قولهم شغلتنا الى اخر كلامهم خبر غير مطابق للواقع واما في الاستغفار فلا بد من تاويل لان قولهم فاستغفر لنا انشاء ولا يوصف بالصدق والكذب فتاويله انه ان شاء يتضمن اخبارا وهو كونهم نادمين على تخلفهم طالبين للمغفرة باستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وهذا كذب لعدم ندامتهم وعدم طلبهم ذلك لعدم رسوخهم في الايمان على ان الاية الكريمة لا تدل الا على ما في السنتهم مجرد كلام خال عن اللب لا حقيقة له فلا عبرة به لان الكلام اخبارا كان او انشاء لا بد له من حقيقة حتى يعتد به وحقيقته ان كان خبريا اتصاف نفس المتكلم بالاعتقاد بمضمونه او لا واذا كان ناقصا فان حقيقته حينئذ كونه مستلقنا مضمونه عن الغير في نفس الامر وان كان انشائيا اتصاف نفس المتكلم بمضمونه فان كان طلبيا مثلا مثل قوله استغفر فحقيقة كلامه اتصاف قلبه بطلبا لاستغفار في نفس الامر والطلب كيفية قايمة بالنفس فاذا قال استغفر

وليس

ق

ان

وليس ما يدل عليه هذا القول وهو الطلب المذكور في قلبه يصدق عليه انه قال بلسانه ما ليس في قلبه فظهران معنى الاية لا يحتاج الى اعتبار الكذب بالتاويل والمقصود في هذا المقام بيان ان اعتذارهم ليس بشيء لخلوه عن الحقيقة لكن التكذيب ادخل في الذم على انه لو فرض كونهم صادقين في الاعتذار فهو ليس بشيء سيما بعد استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم اياهم لقوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره • فان قلت ما الفايدة في ذكر الالسنة وهل يكون القول الا بالالسنة • قلت فايدة الاشعار بما سيق الكلام له لان تخصيص الالسنة قولهم بآلة اللسان في الذكر اشعار بان كلامهم غير مقارن بما في القلب من اللب والحقيقة التي لا يعتبر الكلام بدونها وفيه من المبالغة اكثر مما في قوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم للاشارة الى ان قولهم لا يستاهل ان ينسب الا الى الالسنة فقط دون الافواه قال العلامة الزمخشري تكذيب في اعتذارهم وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا فليس ايضا من حقيقته وكلامه قريب مما بيناه قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اي فمن يمنعكم شيا من مشية الله وقضايه ان اراد بكم ما يضركم من قتل او هزيمة

او خلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف اوارادبكم ما يضاد
ذلك من المنافع وانما قال لكم ولم يقل لمن يمنعكم ليفيد
نفي المنع بطريق برهاني فان من لم يملك شيا لم يقدر على منع الغير
فيه لان المراد من الملك قدرة التصرف والمنع تصرف في الممنوع
منه والتصرف موقوف على القدرة ففي نفي القدرة يستلزم نفي
التصرف على الوجه الاكد وتعديته باللام في لكم باعتبار تضمنه
معنى التصرف اللازم للقدرة كانه يقول من يتصرف لاجلكم
بتخيير قضا الله تعالى من منع الضرر او النفع ۞ فان قلت كيف يصح
معنى اللام الذي هو المنفعة في منع النفع بالنسبة الى المخاطبين
قلت المعنى لاجلكم وهو اعم من ان يكون لاجل منفعتهم او لاجل
مضرتهم والمضاف محذوف في قوله من الله وقد اشرنا اليه
والتنوين في شيا للتحقير فانه اذا لم يقدر على التصرف في حقير
من المقضيات فكيف يتصرف فيما هو اعظم منه وكلمة من بيانية
قدم عليه الضر بالفتح والضم عند النفع او بالفتح مصدر و
بالضم اسم ويراد بهما ما يضر وما ينفع مجازا شايعا والفارق الخ الشرط
محذوف يدل عليه ان اراد بكم ضرا وقراحمزة ضرا بضم الضاد وهو
فقط وهو اسم لما ينال الانسان من الهزال وسوء الحال والباقون
بالفتح وقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر والضعف والضعف
والقول المامور به وعيد ورد لاعتذارهم ثانيا بعد ما ابطله
اولا بالتكذيب وخلوه عن الحقيقة التي هي مناط صحة الاعتذار
والاستغفار وحاصله ان اعتذاركم غير نافع لكم عند الله لانه

يعلم

يعلم سركم ونجواكم وقد ارتكبتم سخطه بما فعلتم ولا يجترئ عاقل على
مثل هذا الاعتذار اعتماده على من يقدر ان يدفع عنه موجبه او عند
الخوف ممن يقدر ان يمنع عنه منفعة قدر له ولم يتحقق شيء منهما
فانتم الاقوم جاهلون ما تعرفون ضركم ولا نفعكم بل كان الله
بما تعملون خبيرا فيعلم ما هو سبب تخلفكم وقصدكم فيه ونفاد
عذركم وهذا وعيد اخر الخبر النبا و رجل خابر وخبير بكذا عالم
به وكلمة بل للاضراب فان تخلفهم واعتذارهم بالاكاذيب يدل
على انهم كانوا ينكرون علم الله وخبرته بما يفعلون تعالى شانه
عما يظنون بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى
اهليهم ابدا اضراب اخر عما يدل عليه صريح اعتذارهم وهو ان
سبب تخلفهم انما كان محافظة ما به قوام المعيشة ومحافظة
الاهل التي هي اهم منه لا غير والمعنى ليس سبب التخلف ما تقولون
بالسنتكم بل السبب انكم ظننتم عدم انقلاب الرسول والمؤمنين
الى اهليهم ابدا وانهم سيهلكون لان المشركين يستاصلونهم
فكان هذا الظن سبب تخلفكم باعتبار خوف الهلاك على انفسكم
وان الموضبين اذا انقرضوا لا يضركم التخلف يقال قلبه اي حوله
عن وجهه كاقلبه وقلبه فانقلب والابد محركة الدهر وهو
ظرف للنفي المستفاد وهي لا تدل على التابيد حتى يستغني عن ذكر
الابد فلا حاجة الى ان يحمل على التاكيد وزين ذلك اي الظن في
الى اهلهم بدون الياء وزين على البناء للفاعل اي الشيطان او الله
عز وجل وكلاهما جاء في القران وهو قوله تعالى وزين لهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيطان اعمالهم وزينها لهم اعمالهم فان قلت كيف رجع الضمير الى الشيطان ولم يسبق ذكره قلت قد يرجع الضمير الى المقدر في الاذهان فيجعل المقدر فيها قايما مقام سبق ذكره عند وجود القرينة اما المقدر فباعتبار انه الموصى للاغراء المجاهد وقد ورد ان في القلب بيتين في احدهما الملك وفي الاخر الشيطان الحديث واما القرينة فكون الكلام في بيان ابتاعه من المنافقين وذكره صريحا فاعلا للتزيين في كثير من المواضع في القرآن والقرآن يفسر بعضه بعضا **في قلوبكم** فيمكن فيها قال العلامة البيضاوي في قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى ما لكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة وزين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والنفوس الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاسباب الشهية مزين بالعرض انتهى كلامه والمقلوب ظرف للتزيين باعتبار نسبته الى المفعول وهو الظن المذكور لان ظهور اثر التزيين فيه انما هو عند المدركة والظن الفاسد اذا تمكن في القلوب يكون اسوء من غير التمكن **وظننتم ظن السوء** يحتمل ان يراد به الظن المذكور ويكون المراد به التعجيل عليه بالسوء او هو وساير الظنون الرديئة الناشية عن النفاق وحكاية قصة المخلفين المنافقين هنا واثبات سوء ظنهم بعض تفصيل لما ذكر مجملا في صدر السورة اعني قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء في حق المنافقين

وكنتم

وكنتم قوما بورا البور من بار كالهلك من هلك بنا ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمونث ويجوز ان يكون جمع بائر كعايذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه وبيان سبب هذا الظن في حق الرسول والمومنين انهم هالكون في سفرتهم ولن ينقلبوا ابدا **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا** افاد ان المخلفين ما كانوا مومنين لانذارهم تحت عموم كلمة من والام يعود لهذا الكلام مناسبة لما قبله وما بعده لكونها في بيان حالهم وذلك ينافي بلاغة القران قال العلامة الزمخشري مقام مقام للايذان بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وتكرير سعيرا لانها نار مخصوصة كما تكرر لفظ انتهى يعني وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى المبتدا للايذان الى اخره • فان قلت الايذان المذكور انما يتم على تقدير ارجاع النفي الى الايمان من حيث تعلقه بمجموع المعطوف عليه والمعطوف من حيث هو مجموع واما على تقدير ارجاعه من حيث تعلقه الى كل منهما مستقلا فلا لانه حينيذ يفيد السلب الكلي فيلزم كفر من لم يومن بالله ولا برسوله ولا يلزم من هذا كفر من يومن باحدهما دون الاخر ومع تحقق هذا الاحتمال لا يتم الايذان المذكور • قلت هذا الاحتمال بعيد من العبارة جدا لان الظاهر المتبادر من النفي الداخل على فعل عطف على جملة مبنية بالواو التي لمطلق الجمع ان يكون راجعا الى قيد الاجتماع

او الى المجموع فان كان الاول فالامر ظاهر وان كان الثاني فكذلك
لان نفي المجموع اما باعتبار انتفاء كل جزء او باعتبار احد الجزئين
فيترتب الحكم على كل من الاحتمالين فيتم الايذان المذكور اما
اذا كان المقصود السلب الكلي ونفي كل واحد من الامرين على
حدة فحينئذ يتعالى من لم يؤمن بالله ولا برسوله كما لا يخفى على
المتتبع في كلام العرب وفي المعاهوس العتيد الحاضر المهيأ
والمعتد المعد وتنوين سعيرا اما للتهويل او لانها نار مخصوصة
فكان للنوع والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا
اججتها ولله ملك السموات والارض الملك اما مصدر ملكه اي
احتواه قادرا على الاستبداد به والاضافة حينئذ اضافة المصدر
الى المفعول لان الكل مملوك له والمعنى لله ما كيفيتهما وتقديم
الظرف للحصر اي له لا لغيره واما بمعنى المملوك فيكون من قبيل
اضافة العام الى الخاص واما بمعنى السلطنة والولاية المطلقة
وهو الاظهر المناسب لقوله تعالى ولله جنود السموات والارض
والمراد ان له الملك المطلق الشامل لجميع الكائنات فيتصرف
فيها وهو تظير قوله ولله جنود السموات والارض في الدلالة
على انه قادر على كل شيء من الفتح والنصر والثواب والعقاب الى
غير ذلك وهو كد مضمونه لان الملك اذا كان له يلزمه ان يكون
الجنود له لان المراد من السموات والارض جميع العلويات والسفليات
والجنود من جملتها ولما كان سياق السورة في بيان قدرته الباهرة
الموجبة لانجاز وعده من النصر وغيره واستقلاله في التصرف

ملكه

ملكه كرر هذا المضمون مرارا لاستلزامه تحقق النصر وتبشيرها
على ان من يعتقده لا شك في ان الله تعالى منجز وعده لرسوله
والمؤمنين من الفتح والنصر والمغفرة وثواب المطيع وعذاب العاصي
فقوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما
تفصيل لما اجمل فاكتفى بما هو المرجو في الوعد والوعيد ولما كانت
الجملة بيانا لما قبلها ترك العطف لكمال الاتصال بينهما وفيه دليل
على ان الله تعالى فاعل مختار كما هو مذهب اهل الحق لا يوجب كما
هو رأي الحكماء لان المغفرة والتعذيب اذا كانا مسببين بالمشية
والاختيار يلزم ان يكون غيرهما من افعال الله تعالى كذلك
لعدم القائل بالفصل • فان قلت المشية لا تستلزم الاختيار
لانها مجرد الارادة ولا بد في الاختيار كون الفاعل بحيث ان
شاء فعل وان شاء لم يفعل ويصح فيه الفعل والترك ومن الجائز
ان لا يصح في حقه تعالى ترك المغفرة لمن شاء مغفرته وترك
التعذيب بمن يشاء تعذيبه كما قال صاحب الكشاف في تفسير
هذا المحل فيغفر ويعذب لمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته
المغفرة للتائب والتعذيب للمصر • قلت يأبى هذا الاحتمال
سياق الاية وسياقها وصرائح المنصوص من الكتاب والسنة وما
يناسب كمال قدرته تعالى وتقدس لدلالتها على كونه في اعلا
مراتب القدرة يتصرف في ملكه كيف يشاء من التصرفات من
غير تقييد لا انه كالمضطر عند الحكمة التي اقتضتها عمل البشر
لانه ينافي كمال القدرة فان قلت كما انه تعالى موصوف بالقدرة

الكاملة موصوف بالحكمة البالغة وهي تقتضي ترجيح ما هو الاصلح
للعباد قلت سلمنا انه يرجح الاصلح لانه لا يجب عليه شيء ولا يسأل
عما يفعل ولكونه قادرا على اختيار غير الاصلح لا يبنا في حكمة البالغة
فان قلت صحة الفعل والترك معناهما امكانهما وليس المنازع فيه
الامكان الذاتي بل الامكان في نفس الامر على معنى انه لا يلزم من
فرض وقوعه محال ولا شك انه يلزم من فرض وقوع خلاف الاصلح
محال وهو النقص في حكمة البالغة قلت لا نسلم ان ترك الاصلح
يوجب النقص في الحكمة وانما يلزم النقص اذا كان خاليا عن المنفعة
بالكلية ويجوز ان يتحقق في ترك الاصلح ايضا حكمة ومنفعة وان
قلها بكمال القدرة واظهار شمولها جميع الممكنات والحاصل انا
نقول كل ممكن مقدور وكل مقدور اذا فرض وجوده لا يخلو عن
حكمة وفايدة ولا محذور فيه فتدبر وفي قوله تعالى وكان الله
غفورا رحيما بعد قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اشارة
الى سبق الرحمة وسعتها قال العلامة البيضاوي فان الغفران
والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضايه بالعرض ولذلك
جاء في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي فكانه اراد بكونها
صدورهما عن الذات بغير واسطة توجب ذلك بخلاف التعذيب
فانه لا يصدر الا بواسطة امر عارض من قبل المعذب من كفر
او نفاق الى غير ذلك فالاول فضل والثاني عدل **سيقول**
المخلفون يعني المذكورين **اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها**
يعني مغانم خيبر لان الله عز وجل وعد اهل الحديبية فتح خيبر

وانها خاصة من غاب منهم ومن قد حضر ولم يغب الا جابر بن
عبد الله فعنم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر فثبت
انه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست
واقام بالمدينة بقيتها واوايل المحرم ثم غزا خيبر من شهد الحديبية
ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم وفي ذكر لتأخذوها مع انه
يفهم من الانطلاق الى المغانم اشارة الى ان المومنين كانوا يعلمون
حصولها قبل الانطلاق بموجب وعد الله تعالى كان المغانم معدة
لهم فهم ينطلقون اليها ليقبضوها وتصريح بما هو سبب قصد
المنافقين اتباع المومنين في التوجه الى خيبر فانهم لما علموا هذا
المعنى من المومنين قالوا **ذرونا نتبعكم** ولم يعلموا ان الله قد
فتحهم قبل ان يرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بانزاله
بانزاله الايات الدالة على كذبهم ونفاقهم وقولهم بالسنتهم في
قلوبهم وطلبهم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك للغاية
ارادة تبديل كلام الله اخبارا بالغيب وانما قلنا هذا لان السورة
انما نزلت بين مكة والمدينة على ما سبق وتقاله ذره اي دعه
وهو بذر واصله وذريذر كوسع يسع وقد امت ماضيه
فلا يقال وذره ولا يقال واذره ولكن تركه وهو تارك والانثى
من تبعه تبعا وتباعة مشى خلفه **يريدون** يعني المخلفين بقولهم
هذا واراد تهم اتباع المومنين **ان يبدلوا** اي يغيروا **كلام**
الله وهو وعد لاهل الحديبية ان يعوضهم مغانم خيبر ويعطي
منها احدا تخلف عنه وقيل قوله ولن تخرجوا معي ابدا وانظاهر

انه في ستوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرا حمزة
والكسائي كلم الله وهو جمع كلمه والجملة حاله من فاعل سيقولوا قل
لن تتبعونا نفي في معنى النهي في الفاموس لن حرف ينصب المستقبل
اصله لا ان فحذفت اولا فابدلت الالف نونا وترد للاستقبال
ولا تفيد توكيد النفي ولا تابيده على الصحيح وترد للدعا اقول
يجوز ان يكون المراد من قوله تعالى كلام الله هو قوله لن تتبعونا
فان قلت كيف يصح ان يراد وهو ورد لقولهم ذرونا نتبعكم فيكون
متاخرا عنه وقولهم ذرونا متاخرا ارادة تبديل كلام الله فكان
كلام الله المراد تبديله متقدما على قولهم فلزم تقدم كلام الله
على مقول قل اعني لن تتبعونا بواسطة تقدمه على المتقدم عليه
قلت قوله تعالى لن تتبعونا انما نزل بين مكة والمدينة قبل وصول
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل قولهم ذرونا متقدم
مع الارادة المذكورة رد على كونهم ممنوعين عن اتباع المومنين
وان كان موجبا لامر بكلمة قل خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لم
يتحقق بعد قولهم ذرونا ولا منافاة بينهما كذلكم اي مثل ما قلت
لكم من عدم اتباعكم ايها المخلفون قال الله من قبل اي من قبل
تهيئكم للخروج وتدبيركم ما يتعلق بالسفر فسيقولون اي المخلفون
بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنايم اضراب عما يدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل لن تتبعونا كذلكم قال
الله من قبل من ان منعكم عن الاتباع انما هو بموجب امر الله تعالى
لا لشيء من عندنا فهم يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين

في ذلك وينسبون اليهم الحسد وهذا دليل على كفرهم ونفاقهم وهذا
الكذب منهم يحتمل ان يكون معتقدا لهم لسوء ظنهم وقياس حاله
الاصفيا على صفاتهم الذميمة فان الموصفين كانوا كما مر يا انتظرون
فيهم عكوس ما في انفسهم ويحتمل ان يكون مكابرة منهم وافتراء
عليهم بطهارة قلوب المومنين من الحسد وغيره من الرذايل قال
الجوهري الحسد ان تتمنى زوال نعمة المحسود اليك بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا اي لا يفهمون الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا
دون الاخرة قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فيكون
المستثنى منه مصدر الفعل المنفي ونصب قليلا على انه مفعوله مطلقا
ويجوز ان يكون نصبه على المفعول به فيكون المعنى لا يفهمون شيا
الا شيا قليلا والعلة اما باعتبار الكمية لان علم المعاش بالنسبة
الى علم المعاد قليل جدا ولهذا يتعلمه ابنا الزمان في صغر سنهم
من غير مدارسة واما باعتبار الكيفية وهي المنفعة قال الله تعالى
قل متاع الدنيا قليل وهذا الاضراب رد من الله تعالى لما تضمن
اضرابهم من علمهم بحسد المومنين وكونه سببا لمنع الاتباع باثبات
الجهل لهم بما يتعلق الى الدين وبما في قلوب المومنين من الثبات
الصالحة وبما في نفوسهم الزكية عن الاوصاف الذميمة من الحسد
وغيره فلا يرد انه لا يقابل بين حسد قوم وجهالة قوم اخرى لا
بد من التقابل بين ما قبل الاضرابية وما بعدها ولما بناهم
بما في قلوبهم من النفاق وطبعهم الفاسدة اوعدهم بما اعد لهم
اجلا من العقاب عقبه بما كانوا يخافون منه عاجلا من العذاب

فقال قل للمخلفين من الاعراب كرر التعبير عنهم بالمخلفين اشعارا
بشناعة التخلف وبكونهم من الاعراب اظهار الجهلهم وغلظهم
وبعدهم من العلم والدين ستدعون الى قوم والقوم الجماعة
من الرجال والنساء معا او الرجال خاصة او يدخله النساء على تبعية
اولي باس شديد الباس هو مجاهدة العدو في القاموس الباس
العذاب والشدة في الحرب وصفه بالشدة لكثرة المقاتلين
وقوتهم في الحرب ويجوز ان يكون صفة لقوم نظرا الى لفظه وتنوين
قوم للتعظيم بدلالة السياق والموجخ ذ ومن غير لفظه واختلف
الرواية في تعيين ذلك القوم فقال ابن عباس وعطا بن ابي رباح
ومجاهد وابن ابي ليلى وعطا الخراساني هم فارس والروم وقال
كعب والحسن وعبد الرحمن ابن ابي ليلى الروم وعن الحسن ايضا
فارس والروم وقال ابن جبير هوازن وثقيف وقال عكرمة
هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل بنو حنيفة
اهل اليمامة اصحاب مسيلمة وقال رافع بن خديج والله لقد
كنا نقرا هذه الاية فيما مضى ستدعون الى قوم اولي باس شديد
فلا ندعلم من هي حتى دعانا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم
هم قال العلامة الزمخشري يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل
الردة حاربهم ابو بكر رضي الله عنه لان مشركي العرب والمرتدين
هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة
رحمه الله ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل
منهم الجزية وعند الشافعي رحمه الله لا تقبل الجزية الا من اهل

الكتاب

الكتاب والمجوس دون مشركي العرب والعجم والاية دليل على امامة
ابو بكر رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
والدعوة التي تجب اجابتها ما يكون من الامام ووجوب الاطاعة
بينهم من قوله تعالى فان تطيعوا الاية فان قلت عن قتادة انهم
ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلنا ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا ابدا ما دمتم على ما انتم
عليه من مرض القلب والاضطراب في الدين وعلى قول مجاهد كان
الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مطوعين
لا نصيب لهم في المغنم فتامل تقاتلونهم او يسلمون اي يكون
احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام تعيين احد الامرين يدل
على ان المراد من القوم المذكور المرتدون او المشركون من العرب
لان غيرهم لا يتعين في حقهم احد الامرين بل احد الامور
الثلاثة المقاتلة او الاسلام او اعطاء الجزية الا ان يراد من
الاسلام الانقياد ليتناول قبولهم الجزية وفي قراءة او يسلموا
بمعنى الى ان يسلموا فلما اخبر انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد
عقبه بذكر بيان حكم الاطاعة والاجابة لتلك الدعوة والتولي
عن اجابتها فقال فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا
كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما المراد من الاجر الحسن
هو الغنيمة في الدنيا والنعيم الابدي في الاخرة وفي قوله تعالى

كما تولوا من قبل تاكيد لما سبق من ابطال معذرتهم وفسادها فان
قلت قد علم مما سبق ان المخلفين كانوا منافقين والمنافق كيف يؤتى
الجنة لاطاعته دعوة الجهاد قلت المراد اطاعة الرسول من حيث
هو رسول فيستلزم الايمان والرجوع عن الكفر والنفاق قال
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والاطاعة كالطاعة الا
ان التولي قد يجيء بمعنى الادبار والاعراض دون الثاني قد يتعدى
بنفسه

ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج

قال العلامة البيضاوي لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء
المعذورين استثناء لهم عن الوعيد • فان قلت قد روي بسند حسن
عن زيد بن ثابت انها نزلت اذ جاء عمي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستاذنه في التخلف فعلم انها نزلت في حق غير المخلفين في
حادثة اخرى • قلت ان صح فالحكم فيها واحد لان الحرج مرتفع
عن كل الناس لعموم الاية وسبب النزول لا يكون مخصصا لعموم
ما انزل فعلى هذا كان ذكرها ههنا للمناسبة لانها نزلت في حق
المخلفين والحرج الاثم بعد المكنة حرج اي ضيق كثير الشجر
لا يصل اليه الراعية سمي الاثم به لان قلب صاحبه ضيق من
كثرة الوساوس وعمي النفس المحيطة به اولانه يوجب دخول
صاحبه في ضيق عذاب جهنم اولان معيشة صاحبه ضيق
قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا والاعمى
الذي ذهب بصره كله والاعرج الذي اصابه في رجله شيء والمعنى
ليس على هؤلاء اثم في التخلف عن الغزو وحذف لوجود القرينة

ومن

ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار

قال العلامة البيضاوي فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد
لسبق رحمته ثم جيء ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن
يتول يعذبه عذابا اليما يعني خير التفصيل الحاصل في جانب
الوعيد من جهة اجماله بتكرير على سبيل التعميم اما تكريره فلان
حاصل مضمون قوله وان تتولوا الى اخره وقوله ومن يتول الى
اخره ليس الا ان المتولي له عذاب اليم الا انه زيد في الثاني
معنى العموم الحاصل من الوصول ولا شك ان التكرير يوجب التاكيد
فالتاكيد الحاصل في جانب الوعيد في مقابلة التفصيل الواقع
جانب الوعد • فان قلت لا مدخل لذكر التعميم في الخبر لانه
مشترك بينهما لوجود الموصول الدال عليه في جانب الوعد ايضا
قلت انما ذكر لانه لو لم يكن في جانب الوعيد كان يثبت للوعد
مزية اخرى على الوعيد من حيث التعميم فاذن لم يحصل الجبر
بمجرد التكرير ولما بين حال المخلفين بعد ذكر ما يعين اجمالا
عقل الكلام اي تفصيل حالهم فقال

لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة

الظرف الاول متعلق برضي والثاني
بما اضيف اليه الاول ويحتمل ان يكون حالا من ضمير المفعول اعني
كاف الخطاب لان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في اصلها
والرضى ههنا بمعنى اظهار النعمة فهو صفة فعل لا صفة ذات
لتقييده بالزمان والبيعة هي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية
وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزله بالحديبية بعث

جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فمواليه اي قصد واقبله
فمنعه الاحابيش جمع احبوش وهي قبائل من قبايل شتى فلما رجع
دعا عمر رضي الله عنه ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما اعرف من
عداوتي اياهم وليس بمكة احد من بني كعب يغضب لي اذا اوذيت
فارسل عثمان بن عفان فان عشيرته بها وانه يبلغ لك ما اردت
فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فارسله الى قريش وقال
اخبرهم انا لم نات لقتال وانما جينا عمارا وادعهم الى الاسلام
وامره ان ياتي رجالا بمكة مومنين ونساء مومنات فيدخل عليهم
ويبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله وشيك ان يظهر دينه بمكة
حتى لا يستخفي فيها بالايمان فانطلق عثمان الى قريش فاخبرهم فقالوا
المشركون ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البيعة ونادى
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان روح القدس قد نزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره بالبيعة فاخرجوا
على اسم الله فبايعوه فصار المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على ان لا يفروا ابدا فزعم ناس
فارسلوا من كانوا ارتهنوا من المسلمين ودعوا الى الموادعة وقيل
واخرج البيهقي في الدلايل عن الشعبي قال لما دعى النبي صلى الله
عليه وسلم الناس في البيعة كان اول من اتى اليه ابو سنان
الاسدي فقال ابسط يدك ابايعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
على ما تبايعني قال على ما في نفسك • عن سلمة بن الاكوع بينا نحن
قايلون اذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس

البيعة

البيعة نزل روح القدس فاخبرنا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فبايع لعثمان احدى يديه على
الاخرى فقال الناس هنيا لعثمان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو مكث كذا وكذا ما طاف حتى اطوف
عن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب ان ناسا ياتون الشجرة التي بويع
تحتها فامر بها فقطعت لعله رضي الله عنه حتى احدث بدعة من
قلة العوام وكان الناس حديث العهد بالجاهلية والله اعلم
وقيل كانت الشجرة سدرة في دلايل الاعجاز • عن جابر بن عبد الله
قال كنا يوم الحديبية الفا واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم انتم خير اهل الارض وقيل كانوا الفا وثلثمائة وقيل
الفا وخمسمائة • واخرج احمد وابو داود والترمذي عن جابر رضي الله
عنه ما ميسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن
بايع تحت الشجرة • فان قلت على هذا الرخصة في تخصيص العشرة
بكونهم مبشرين بالجنة • قلت خبر الاحاد لا يفيد العلم بل يفيد الظن
والعشرة كونهم مبشرين مقطوع به بدليل قطعي • واخرج البخاري
عن مسلمة بن الاكوع قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت الشجرة قيل على اي شيء تبايعون يومئذ قال على الموت عن
قتادة انهم بايعوه على ان لا يفروا ولم يبايعوه على الموت وبين
الروايتين تدافع ظاهر ويمكن التوفيق بينهما بانه ليس المراد بقوله
على الموت ظاهره وهو التزامه بل المراد عدم تجويز الفرار من
القتال الخ في تجويز الموت فقوله على الموت على سبيل المبالغة

كيد ولا يصح ارادة الظاهر لان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان
يريد موتهم بل اراد تثبيت اقدامهم في معركة القتال ومراد
قتادة نفي ظاهر كلامه المتبادر من كلامه فلا تدافع واخرج
الطبراني عن مالك بن ربيعة الساعدي انه شهد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم النحر ويوم رد الهدي معكوفا ان يبلغ
محله وان رجلا من المشركين قال يا محمد ما يحملك على ان تدخل هؤلاء
علينا ونحن كارهون فقال هؤلاء خير منك ومن اجدادك
يومنون بالله وباليوم الآخر والذي نفسي بيده لقد رضي الله عنهم
واللام في قوله عن المومنين للمعهودين الذين سيذكرهم في قوله
ان الذين يبايعونك • اقول وجوز ان تكون للاستغراق فانه
لما كانت المبايعة المذكورة من خلاصة المومنين في اعلاء دين
القبول عند الله رضي الله عنهم وعن سايرالمومنين يبركتهم كرامة
لهم • فان قلت ما ابي عن هذا الاحتمال قوله اذ يبايعونك لان
المبايعة تحت الشجرة ما صدرت عن الكل • قلت يجوز ان يرجع
الضمير الى المومنين باعتبار ارادة بعضهم بطريق الاستخدام
او الى الكل باعتبار ان بيعة المومنين وسادتهم منزلة كلهم وتنظير
كثير في القران لا يخفى على المتتبع فكان المبايعة صدرت عن الكل
فاضيفت الى الكل مجازا والمجاز غير نادر في القران ولا شك ان
هذا المعنى ابلغ في المعنى المسوق له اعني بيان كرامتهم وقبول
عملهم والله اعلم بمراده فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص والوفا
وغير ذلك مما يحب الله في قلب عباده المومن عند مبايعة حبيبه

وخير

وخير خلقه في امر دينه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فعلم
ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم قال انما انزلت السكينة على من
علم منه الوفا وهذا لا ينافي ما قلنا لان تخصيص شيء هو عدم في المقام
بالذكر لا ينفي وجود ما عداه فانزل السكينة الطمانينة وسكون
النفس والامن لسبب الصلح او بسبب التسبيح عليهم اي على قلوبهم
وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكابة بصد المشركين اياهم وعدم
ظهور اثر رويا النبي صلى الله عليه وسلم وسيجي بيانها ان شا الله
تعالى حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم انما ذلك رؤيا منام
وقال الصديق لم يكن فيها الدخول في هذا العام والفا في قوله
فانزل يدل على ان الانزال مسبب عن العلم بما في قلوبهم فعلى هذا
يجب على كل خايف ان يحسن ما في قلبه لتنزل عليه السكينة وانما
رتب انزال السكينة على علمه بما في قلوبهم دون المبايعة اشارة
الى ما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال
بالنيات للحديث وان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم الحديث • فان قلت صفات الله تعالى اعني الذاتية
قديمة والعلم منها والفا التعقيبية في قوله فعلم يدل على تحققه
بعد المبايعة • قلت علم الله تعالى قديم بذاته ولكن تعلقاته
حادثة والتعقيب ههنا باعتبار التعلق لا باعتبار الذات
ولا شك ان تعلق العلم بما في قلوبهم من الاخلاص وغيره بعد
تحقق المعلوم اعني ما في القلوب • فان قلت اذا كان تعلق علم الله
بالمعلومات بعد تحققها لزم عدم التعلق قبل وجودها واذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

لم يتعلق العلم بها لزم الجهل قلت للعلم تعلقان تعلق قبل وجود
المعلوم وهو لازم ذات العلم فكان قديما وتعلق بعد وجود المعلوم
فهو حادث اما التعلق الاول فهو عبارة عن الاحاطة بالمعلوم
من حيث انه سيوجد في الوقت الذي خصصته الارادة الازلية
واما التعلق الثاني فهو عبارة عن الاحاطة به من حيث انه قد
تحقق ودخل في الوجود • ثم اعلم ان تعلق العلم نسبة بين العلم
والمعلوم والتعدد فيها انما نشأ من جانب المعلوم لكثرة المعلومات
واما باعتبار ذات العلم فلا يتصور التعدد لانه واحد بالشخص
كما بين في موضعه والله اعلم • فان قلت لا يحسن عطف الماضي
على المضارع فكيف عطف قوله فعلم على ينبأ بعونك • قلت الا
لنكتة وهي ههنا للاشارة الى تقدم العلم باعتبار ذاته وتعلقه
الاول مع قطع النظر عن التعلق الثاني بالمبايعة وعلم ان
يكون قوله تعالى فعلم معطوفا على قوله رضي والفاء حينئذ كهي
في قوله ونادى نوح ربه فقال وذلك لان مدخول الفاء ما
بعده بيان للرضى الذي هو اظهار النعمة على ما مر وأثابهم
في القاموس أثابه الله مثوبة اعطاه اياه والمثوبة الجزاء
كالثواب والمعنى وأثابهم الله على عملهم هذا فتحا قريبا فتح
خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة جمع مغنم
وهو الذي يوخذ من الكفار قهرا قال العلامة البيضاوي يعني
مغانم خيبر وكان عقارا ومالا لم تقسم بين الله صلى الله عليه
وسلم بين اصحابه تاخذونها وانما صرح بالاخذ مع عدم الاحتياج

الى

اي ذكرهم لكونه معتبرا في مفهوم الغنيمة لمزيد الاهتمام بشانه
لانه من جملة ما اختص به امة محمد صلى الله عليه وسلم فان المغنم في
الامم الماضية كان يجمع ويحرق وما كان العسكر وكان الله عزيزا
حكيما غالبا على امره مراعيا مقتضى الحكمة كرر ذكر العزة والحكمة
في هذه السورة كثيرا تنبيها على ما هو المعتبر في الدلالة على انجاز
الوعد من الفتح والنصر وعلى ان التدريج في امر الفتح والنصر
انما هو لحكمة بالغة تسلية للمومنين وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها قال العلامة الزمخشري وهو ما يفي على المومنين
الى يوم القيمة واخرج ابن جرير عن مجاهد قال المغانم الكثيرة
التي وعد وما ياخذون الى يومنا هذا فعجل لكم هذه يعني مغانم
خيبر يقال عجله له اي اسرعه اليه قال في القاموس العجل
والعجلة محركتين السرعة ولهذا يسمى ضد الاجل عاجلا وكف
ايدي الناس عنكم عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني اهل مكة
بالصلح وعن ابن جريج قال الحليفان اسد وغطفان عليهم عيينة
ابن حصين معه مالك بن عوف واهل خيبر على بئر معونة والقى
الله في قلوبهم الرعب فانهزموا ولم يلقوا النبي صلى الله عليه
وسلم والكف المنع ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمومنين
امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح
عليهم وقيل راي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في المنام
ورويا الانبياء وحي فاخبرهم بذلك الى السنة القابلة فجعل فتح
خيبر علامة لصدق رويا وقيل امارة لصدق الرسول صلى الله

ياخذ

عليه وسلم في وعدهم فتح خيبر حين رجوعه عن الحديبية او وعد
المغانم والمعنى الاول هو الاظهر لانه يفهم من تفسير الجارحية
قطع النظر عن القرائن الخارجية وقال العلامة البيضاوي والعطف
على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا ولتأخذوا والعلة
لمحذوف مثل فعل ذلك انتهى نظير الاول قوله تعالى ولتكملوا
العدة اي ليسهل عليكم ولتكملوا ونظير الثاني قوله تعالى ولأتم
نعمتي عليكم اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم **ويهديكم صراطا**
مستقيما قال العلامة البيضاوي هو الثقة بفضل الله والتوكل
عليه وقيل اي يزيدكم هدى او يثبتكم على الهداية اقول وهذا
هو الاظهر نظرا الى ما سبق من ان كثيرا من المومنين قد اضطربوا
عند صدهم عن المسجد الحرام وصدهم هديهم ان يبلغ محله
ورد بعض المسلمين الى المكفرة بموجب الصلح وعدم ظهور رويا
النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة وما اشبه ذلك حتى انكر
بعضهم الفتح قائلا ما قال وتزلزلوا كما قال الله تعالى حكاية عن
الامم الماضية مسهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله فلما ضاقت صدورهم وكادت
تزل اقدامهم بثبتهم الله على الهداية بانزال السكينة واثابهم الفتح
القريب والمغانم الكثيرة ووعدهم اياها مغانم كثيرة وكف
ايدي الناس عنهم **واخرى** قال العلامة البيضاوي ومغانم
اخرى معطوفة على هذه او منصوبة بفعل تفسيره قد احاط الله
لها مثل قضى ويحتمل رفعها على الابتداء لانها موصوفة وخبرها

ايضا رب انتهى الاحتمال الاول بعيد من حيث اللفظ والمعنى اما
من حيث اللفظ فللفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجمل
اجنبية لان قوله وكف ايدي الناس عنكم معطوف على وعدكم
الله وقد عرفت حال الاخيرتين • فان قلت بل على عجل قلت
لا يجوز لانه في حيز البيان لما اجمل في قوله وعدكم الله مغانم
كثيرة والكف لا يصلح بيانا له على انه لو عطف على عجل لم يندفع
المحذور ايضا لان المعطوف على العامل اجنبي بين معموله وما
عطف عليه واما من حيث المعنى فلان المعجل ضد الموجل والظاهر
ان المراد بقوله واخرى موجل على ما سيجيء بيانه فكيف يعطف
معموله معجل وعلى الاحتمال الثاني قوله قد احاط الله بها اما صفة
بعد صفة لاخرى او حال من ضمير عليها في قوله لم تقدروا
عليها وعلى الاحتمال الثالث فالجزء قوله قد احاط الله بها وعلى
الرابع لم تقدروا صفة وقد احاط متعلق رب عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال المراد هذه الفتوح التي تفتح اليوم **لم تقدروا عليها**
بعد لعدم تحقق استعدادها وكونها مرهونة بوقتها وقيل
المعنى لم تقدروا على علم وقتها **وقد احاط الله بها** قال العلامة
البيضاوي استولى فاطعكم لها وهي مغانم هوازن وفارس
انتهى فكانه من باب ذكر الملزوم وارادة اللازم لان المحيط
بالشيء يكون مستوليا عليه عادة خصوصا اذا اضيف الاحاطة
الى مرادة الاستيلاء على كل ممكن ومقدور • واخرج ابن عساكر
عن علي وابن عباس رضي الله عنهم قالا قد احاط الله بها ما قضى الله

ايها الهاكم فان كل ما هو مقتضي فهو محاط لا محالة كاين وعن الزجر
ابن العوام لما قدم البصرة دخل بيت المال فاذا هو بصفرا
وبيضا فقال يقول الله عز وجل وعدكم الله مغانم كثيرة ما خذونها
فعجل لكم هذه واخرى لم تقدروا عليها وقال مجاهد هي ما كون
الى يوم القيمة وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى هي فارس والروم و
فتح فارس وعن قتادة الهاكمة وقيل غير ذلك وكان الله على كل
شيء قديرا ان اريد بالشيء ما يوافقه من الوجود الخارجي فالممتنعات
خارجة عنه استثناء عقليا ولا يلزم نقص في القدرة اذ هي
صفة توثر في المقدور وهي ليست بمقدورة فالنقصان في
من عدم قابليتها للوجود وان اريد به الوجود الخارجي كما
هو مذهب المتكلمين ان المعدوم عندهم ليس بشيء فلا حاجة
الى الاستثناء قال العلامة البيضاوي لان قدرته ذاتية
لا يختص بشيء دون شيء والمراد بكونها ذاتية كون الذات علة لها
من غير مدخلية الغير بخلاف القدرة الحادثة فانها ناشية
من غير ذات من اتصف بها • فان قلت كونها ذاتية بالمعنى المذكور
لا يستلزم احاطتها بكل شيء والمفهوم من كلامه ان عدم اختصاصها
بشيء دون شيء يتفرع عليه • قلت نعم يتفرع لان ذات الواجب تعالى
في اعلى مراتب الكمال من كل وجه ومن جملة وجوه الكمال قدرته
الكاملة فيجب ان يكون على اعلى المراتب وهو بان تكون محيطة
لجميع المقدورات ومضمون هذا الكلام كمضمون قوله ولله جنود
السموات والارض فهو كالدليل على ما ذكر قبله مما يتفرع على قد

ولوقاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا
الادبار اي لانهزموا الان المنهزم يجعل دبره الى وجه العدو
عند الفرار في القاموس ولي تولية ادبر فذكر التولية يغني عن
ذكر الادبار ويرد في ذكره يلزم التكرار الا ان يقال ان المراد
من التولية التحويل المجرد عن قيد الدبر مجازا او فايدة التجريد عنه
ثم ذكره صريحا التصريح بما هو محط التشنيع وتحويل الدبر اسوء
احوال المنهزمين وافضح اوضاع من تولد به امر قطيع ثم لا يجدون
اي المنهزمون وليا والولي له معان القريب والمحب والصديق
والنصير فيحتمل كلا منها الا الاخير لانه مذكور بعده والمعنى
ثم لا يجدون وليا يحرسهم عن المومنين ولا نصيرا ينصرهم وكلمة
ثم للدلالة على انهم لا يجدون الولي والنصير ولو مضى عليهم
زمان يمكن ان يحضر فيه الاصحاب من الاماكن البعيدة او لبيان
التفاوت في مراتب التنزل بين الانهزام وبين عدم وجدان
الولي والنصير فان الحالة الثانية ارذل من الاولى بمراتب
والمقصود من الشرطية المذكورة بجوز ان يكون دفع توهم ناشي
من قضية الصلح على الوجه المعروف وهو غلبة الكفار على تقدير
المقاتلة • فان قلت اذا كان المقدر في علم الله تعالى غلبة المومنين
على تقدير القتال فلم لم يوموا به • اقول الحكم بالغلبة احاط
علة القديم على ان المتبادر من ظاهر الاية انهم لو ابتدوا
بالمقاتلة لانهزموا ولا يلزم من هذا انهزامهم على تقدير ان يبتدا
المومنون بها نظير ما قلنا ما روي ان المشركين نزلوا باحد

فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعي عبد الله
ابن ابي ولم يدعه قبله وقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله
بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا
ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا هذا وقد حرت
العادة الالهية بان يكون حصول المطالب العالية بالتدريج
ليزداد الطالب سعيا واجتهادا وينال به الدرجات العلى اما ترى
ان السالكين في طريق الحق كم يجتهدون مع ان الله تعالى قادر على
ان يبلغهم الى المقصد من غير تعب وانتظار سنة الله التي قد
خلت اي مضت وجرت من قبل اي من قبل ان يبعثك فيمن مضى
من الامم السالفة كما قال تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي في
القاموس السنة بالضم السيرة والطبيعة ومن الله حكمه وامره
ونهيه وهو منصوب على المصدرية كسبحان الله واصله سن الله
سنة حذف الفعل واضيف المصدر الى الفاعل وفي اضافة الى
ذاته المقدسة اشارة الى عدم تبدله كما يدل عليه قوله ولن تجد
لسنة الله تبديلا والتبديل التغيير وهذا مع ما قبله تعليل على
مضمون السابق وهو غلبة المومنين عند مقاتلة الكفار تقرير
لغلبة المومنين على الكافرين عند مقاتلتهم والحاكاية لا محالة
لانها سنة الله ولا تبديل لسنة الله وهو الذي كف ايديهم اي
كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة بعد
ان اظفركم عليهم اي اظهركم عليهم واخرج احمد والنسائي والحاكم
وصححه عن عبد الله بن مغفل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم في اصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكانت قريبا من اعضاد
تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب
وسهيل بن عمرو بين يديه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فاخذ سهيل بيده فقال ما نعرف
الرحمن ولا الرحيم اكتب في قضيتنا ما نعرف قال اكتب باسمك اللهم
وكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله اهل مكة فامسك سهيل
وقال لو علمنا انك رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فبينا نحن كذلك اذ
خرج ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا الى وجوههما فدعى
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله باسماعهم وابصارهم
فاخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل جيتم في احد وهل جعل لكم احدا منا فقالوا لا فخلى سبيلهم
فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم • وروي ان عكرمة بن ابي
جهل قد خرج في خمسمائة الى الحديبية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لخالد بن الوليد وهذا ابن عمك قد اتاك في الخيل فقال
خالد انا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله يا رسول
الله لوم لي ابن شيبة فبعثه على خيل فلقيه عكرمة فهزمه حتى
ادخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى ادخله مكة فانزله وهو الذي
كف ايديهم عنكم الاية فكف الله النبي بعد ان اظهره عليهم لبقايا
من المسلمين كانوا بقوا فيها كراهة ان يطأهم الخيل قال السيد

معين الدين وما ذكران ابا جهل خرج في عسكر يوم الحديبية
الى اخره ففيه شيء كيف وخالد بن الوليد لم يكن اسلم بل كان طليعة
للمشركين يومئذ على ما رواه البخاري في حديثه الطويل قال العلا
البيضاوي وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة
فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله انتهى ولكن ان
تقول ان نزول السورة قبل فتح مكة لا يقتضي عدم جواز حمل الآية
على المعنى المذكور اذ يجوز ان تكون الآية نزلت قبيل الاخبار عن النبي
قبل تحققه والتعبير عنه بصيغة الماضي كالتعبير عن فتح مكة
بانا فتحنا على اختيار بعض المفسرين فتامل ولعل المقصود من ذكر
هذا الكلام في هذا المقام تاكيد ما يستفاد من سياق الكلام من
اول السورة الى آخرها الاستقلال له عز وجل في كل ما يقع في الكون
عاجلا وآجلا من الفتح والنصر وانزال السكينة والثواب والعقاب
وغير ذلك وانه حكم بمنع ايديهم تارة عنكم لنصرة دينه وايديكم
عنهم اخرى لمصلحة تقتضي ذلك وكان الله بما تعملون بصيرا في القراءة
البصير المبصر والعالم وكل منهما يحتمل ان يراد هنا لان من صفاته
البصر والعلم لكن العلم اشمل لاحاطته المحسوسات والمعقولات
والمعنى بصير بما تعملون من مقاتلتكم اولا لاطاعة رسوله وكفكم
ثانيا لتعظيم بيته فيجازيكم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله استيناف لبيان ان
كف ايدي المؤمنين عن كفار مكة بعد ان اظفرهم عليكم لم يكن
لعدم استحقاقهم ان يعذبهم الله بايديهم ويخزيهم وينصركم عليهم
لانهم

لانهم الذين جمعوا بين الكفر وهتك حرمة بيت الله الحرام بصد
خير من احرم اليه في خير امة اخرجت للناس وصد الهدي معكوفا
ان يبلغ محله كعوائه وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام وما كانوا اولياءه الآية ولكن كان لرعاية جمع من المؤ
والمؤمنات من اهل مكة بقوا بين المشركين لكونهم مستضعفين
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ليلا تطاهم الغزاة
بغير علم فتصيبهم معرة من جهتهم كما يدل عليه قوله ولولا رجال
الآية والصد المنع والمسجد معروف والمفعل من باب نصر اسما
كان او مصدرا يجب فتح عينهما الا احرفا ذكرها في القاموس
ومن جملتها المسجد والمطلع والمشرف الزموها كسر العين والفتح
جايز وان لم يسمع والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع
عن الظلمة ان يتعرضوه • وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
اساس المسجد الحرام الذي وضعه ابراهيم من الحزورة اي مخرج
سيل جياد الى المسفي • وعن عطا بن ابي رباح المسجد الحرام الحرم
كله ذكره الازرقي قال الامام الرازي عن ابن عباس الحرم كله
مسجد وهذا قول الاكثرين انتهى والهدي بالتخفيف والتشديد
ما يهدى الى مكة والعكف الحبس ومحل الهدي المكان الذي يحل
فيه نحره ويجوز ان يكون الهدي معطوفا على الضمير المنصوب
في صدوكم او على المسجد الحرام وقرئ بالتخفيف والتشديد منصوبا
ومجرورا ومرفوعا بتقدير وصد الهدي والمعنى على الاول
هم الذين كفروا بالله ورسوله ومنعوكم عن دخول المسجد الحرام

ومنعواهديكم عنه محبوسا عن ان يبلغ محله ومكانه الذي يجب
ان يخرفيه وعلى الثاني ومنعوكم عن بلوغ هديكم محله حال كونه
محبوسا وعلى الثالث ان جملة وصدا لهدي حاله بتقدير قد
عن منعوه صدوكم اي منعوكم حال كون هديكم ممنوعا عن دخوله
المسجد الحرام محبوسا ان يبلغ محله وفي توصيف الكفار بما يوجب
توبيخهم لهتك حرمة البيت مع انهم ما كانوا يعتقدون جوازه
وانما حملتهم الانفة ودعتهم حمية الجاهلية الى ان يفعلوا ما لا
يعتقدونه استعارا الى علة اخرى لكف يد ي المومنين عنهم وهي
رعاية ادب بيت الله الحرام بترك المقاتلة ولا سيما حال كونهم
مجرمين فان الكافر اذا فرخ على عمل لكونه خالف معتقده نعم منه
نهي المومن المعتقد حرمة ذلك بالطريق الاولى • فان قلت ما النكتة
في تعريف المسند اليه والمسند بالاضمار والموصولية • قلت اما
الاضمار فهو مقتضى الظاهر لسبق ذكر المرجع وهو كفار مكة واما
الموصولية فللاشارة الى احاطة علم المخاطبين بكونهم مستحقين
للعقوبة لكونهم موصوفين بالكفر والصد فلا ينبغي لاحد من المومنين
ان يتوهم ان كف ايديهم عنهم وتاخير امرهم لصلحة لهم بل لما يدل
عليه قوله لو لا رجال الاية قال العلامة الزمخشري وهذا دليل
لابي حنيفة على ان المحصر محله حيث هديه الحرم وقال العلامة البيضاوي
المراد مكانه المعهود وهو مني لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره
والا لما اخره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينهض
حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم انتهى وانت خبير

باذ استدلالهم مبني على محافظة ظاهر الاية لان الظاهر من اضافة
المحل الى الهدي ان يكون نسبته اليه على وجه الاختصاص بحيث
لا يجوز نحره في غيره مع ان السياق لبيان ظلم الكفار والظلم انما
يتحقق بالصد عن البلوغ الى محل الجواز مطلقا لا عن البلوغ الى غير
مخصوص من ذلك المحل وان كان ذلك الجزء ايضا معهودا فيه النحر لان
الواجب يودي في غيره • فان قلت المنع عن المكان المعهود ايضا
حرام فيكون ظلما • قلت حرمته دون حرمة المنع عن محل الجواز مطلقا
والمقام يستدعي المبالغة في الظلم لان الصد معطوف على الكفر فان
قلت اذا كان المراد من المحل المكان الذي لا يجوز ان ينحر في غيره وهو
الحرم ومحل هدي المحصر هو الحرم لزم عدم بلوغ هدي النبي صلى
الله عليه وسلم مذبح هدي المحصر وقد كان محصرا فكيف حل عن
احرام عمرته • قلت الاية تدل على انهم منعوا عن ان يبلغ الهدي
ولا تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه امتنعوا من نحره
مستمرين على الامتناع وما نحروا في المحل بل نحروا في غيره كما بين العلامة
الزمخشري من ان الحديبية بعضها من الحرم وبعضها من الحل وروي
ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه
في الحرم وههنا بحث وهو ان الاية لا تدل الا على انه تحقق من الكفرة
ظلمان عظيمان صد المحرمين عن المسجد الحرام وصد الهدي عن البلوغ
الى محله وعظم الظلم في الثاني انما يتاتى على تقدير المنع عن بلوغ
الهدي محله الذي لا يجوز ان ينحر في غيره فعلم انه كما كان يجب
عليهم اداء النسك في المسجد الحرام كان يجب عليهم تبليغ هديهم

الحرم قبل تحقق الاحصار والكفار ممنوعون منها جميعا واما بعد
تحقق الاحصار هل يبقى وجوب تبليغ الهدي على ما كان ام لا فهو
مسكوت عنه ولا دلالة للنص المذكور عليه لابقاء الاصل ابقاء
ما كان على ما كان لان الاستصحاب ضعيف لا يصلح لمعارضة
النص على انه سقط وجوب اراقة المنسك في الحرم لعذر الاحصار
فالظاهر سقوط ما يماثله في الوجوب للعذر المذكور وايضا
مقصود المستدل اثبات المدعى بالنص لا بمسئلة الاستصحاب والله
اعلم • وللحنفية ادلة اخرى مذكورة في كتبهم وليراجع اليها
قال صاحب الهداية وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم احصر في
الحديبية وبعث الهدي على يد ناجيه قاله له لا تاكلات ورفقتك
منها شيا انتهى • وقال الامام كمال الدين بن الهمام في شرح الهداية
روى اصحاب السنن الاربعة عن ناجية الخزاعي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث معه بهدي وقال ان عطب فانحره ثم
اصبغ نعله في دمه ثم خل بينه وبين الناس قال الترمذي حديث
حسن صحيح وليس فيه لا تاكلات ورفقتك ثم قاله وقد اسند
الواقدي القصة بطولها وفيها فلا تاكل انت ولا احد من رفقتك
منها شيا ولو لا رجال مؤمنون ونسا مؤمنات لو لا كلمة بنفسها
عند البصريين والاسم المرفوع بعد خبر محذوف وجوبا اذ
كان من الافعال العامة لانه التزم في موضعه جواب لو لا
مع وجود القرينة الدالة عليه وهي لفظة لو لا اذ هي موضوعة
لامتناع الثاني وهو مضمون الجواب لوجود الاول وهو مضمون

دخولا لولا انا لوجود علي سبيل الفرض معتبر في مدخولها لاقتضائها
اياه فلا حاجة الى ذكره وليست لو الداخلة على لا لان الفعل
بعد لو اذا اضمر وجوبا فلا بد من الابانة بمفسر وقال الكسائي
الاسم بعدها فاعل بفعل مقدر فمعنى لو لا رجال لو لم يوجد رجال
يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة بين الكفار كسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة والي جندل بن سهيل واشباههم وعن ابي
انه قال قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم اول النهار كافرا وقاتلت
معه اخر النهار مسلما وفينا نزلت ولو لا رجال مؤمنون ونسا
مؤمنات وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامراتين انتهى وصيغة الجمع
في النسا بالي عوذ لك الا ان تحمل على ما فوق الواحد مجازا وفيه
ما فيه لم تعلموهم اي لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين
والجملة صفة الرجال والنسا جميعا ان تطوهم اي توقعوا بهم
وتبيدوهم قال العلامة الزمخشري والوطء الدوس عبارة
عن الايقاع والابادة يقال اوقع بهم اي بالغ في قتالهم والابادة
الاذهاب والاهلاك • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
اخر وطاءة وطاها الله بوج وج اسم واديا بالطايف وقال
العلامة البيضاوي وهو بدل اشتمال من رجال ونسا او من ضميرهم
في تعلموهم انتهى • وقوله او من ضميرهم يحتمل ان يقرا بضم الها
وكسرها وقد ذكرنا غير مرة ان المتبوع في بدل الاشتمال يكون
دالا على التابع اجمالا ومتقاضيا له بوجه ما ودلالة الرجال
والنسا على الوطي بقرينة السياق لانهم ذكروا في خبر لو لا اعلاما

بان وجودهم هو السبب لكف ايدي المومنين عن الكفار ولا يصلح
للسببية الا لخافة وطيهم وكذا اذا كان بدلا عن الضمير المذكور
لان ضرر عدم العلم بهم باعتبار الوطء فان قلت اذا كان بدلا
من الرجال والنسا يصير المعنى ولولا وجود وطيهم لكان كذا
والوطء ما كان موجودا يومئذ وكلة لولا تقتضي وجوده قلت
المراد وجوده علما لا عينا فتصيبكم خطاب للمومنين منهم من
جهتهم اي المستضعفين معرة قال العلامة البيضاوي مكروه
كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار
بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه
ما يكرهه انتهى في الهداية اذا التقى الصفان من المسلمين والمشركين
فقتل مسلم مسلما ظنه مشركا فلا قود عليه وعليه الكفارة
لان هذا احد نوعي الخطا ولما اختلف سيوف المسلمين عن اليمان
ابا ابي حذيفة رضي الله عنهما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالدية قالوا انما يجب الدية اذا كانوا مختلطين فانكانوا في
صف المشركين لا يجب لسقوط عصمته بتكثير سوادهم قال
عليه السلام من كثر سواد قوم فهو منهم انتهى قوله ويدل عليه
قوله تعالى ان الذين توفاهم الملئكة ظالمي انفسهم قالوا فيم
كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا الاية ومحل الاية مدلوله قوله تعالى الا
المستضعفين من الرجال والنسا والولدان لا يستطيعون حيلة
ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله

غفورا رحيما بغير علم قال العلامة البيضاوي متعلق بان تطوهم
اي تطاوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام
عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مومنين بين اظهر
الكفار من جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم
عنهم انتهى اقول يتجه عليه انه اذا كان بغير علم متعلقا بان
تطاوهم ويومئذ لاشتمالة من ضمير لم تعلموهم على ما سبق يلزم
في الكلام تكرار لانه يصير المعنى حينئذ لم تعلموهم وطاوهم بغير
علم فان قلت العلم الاول متعلق بوطيهم والثاني بانفسهم كانه
قال لم تعلموا وطاهم غير عالمين بهم قلت ليس المراد من نفي العلم
بوطيهم عدم تعلق العلم بذات الوطء من حيث هي بل من حيث
الاضافة اليهم من حيث كونهم مومنين لا من حيث ذاتهم من غير
ملاحظة وصف الايمان فلزم قوله لم تعلموهم ان تطاوهم على
عدم العلم بهم من حيث كونهم مومنين ولا شك ان المراد من قوله
بغير علم عدم العلم بهم من حيث انهم مومنين فلزم التكرار
فالوجه ان يكون قوله ان تطاوهم بدل اشتمال من الرجال والنسا
لا غير الا ان يتعلق بغير علم بغير فان قلت وهل يجوز
ان يتعلق بغيره قلت نعم يجوز الا ان يكون حالا من مفعول
تصيبكم والمعنى فيصيبكم منهم مكروه حال كونكم غير عالمين
بما يوجبه لعدم تعمدكم اهلاك المومنين ولا شك ان المصيبة
التي تصيب الانسان على غفلة لعدم تعمد ما يوجبها اشد واوضع
وهذا التوجيه اقرب من حيث اللفظ لقرب المتعلق وابلغ من حيث

المعنى لما اشير اليه وفي قولهم بغير علم استعارة الى فضيلة الصحابة
وعفتهم عن المعصية وعصمتهم عن التعدي حتى انهم لو اصابوا من
ذلك احدا لكان عن غير قصد وهذا كما وصفت التملة جند سليمان
عليه السلام في قولها لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
ليدخل الله في رحمته من يشاء قال العلامة الزمخشري فان قلت
تعليل لماذا قلت لما دلت عليه الاية وسيقت له لمن كف ايدي المؤمنين
عن اهل مكة والمنع من قتلهم صونا لما بين اظهرهم من المؤمنين كانه
قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه
لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب
فيه من مشركيهم • اقول ويحتمل ان يراد ما هو اعم من كل واحد من
المعنيين لعموم الرحمة وسعتها ويؤيد ذكر كلمة من وهي من الالفاظ
العامة وقد علق به المشيئة التي لا تتعلق بالاسباب والعلل
يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وقد سبقت رحمته غضبه وقد
دخل خلق عظيم في الاسلام بتأخير العذاب عنهم واخراجهم من
الغاية المذكورة لا يليق بحكمة البالغة والله اعلم لو تزيلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما قال العلامة البيضاوي
لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض انتهى اي تميز المؤمنين عن الكافرين
وقرئ لو تزايلوا والتزايل البين • روي عن علي رضي الله عنه انه
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية لو تزيلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم قال المشركون من احداد بني الله ومن كان
بعدهم وفي عصرهم كان في اصلابهم قوم مؤمنون فلو تزيل المؤمنون

عن

عن اصلاب الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذابا اليما والداني
العراقي فقد قال الجماعة ان معناه لو تزيلوا عن بطون النساء واصلاب
الرجال وهذا ضعيف لان من في الصلب او في البطن لا يوطأ ولا
يصيب منه معرة وهو سبحانه قد صرح فقال ولولا رجال
الاية وذلك لا ينطلق على ما في البطن او الصلب انتهى قلت
لما دل عليه قوله تعالى ولولا رجال الاية على امتزاج جمع من المؤمنين
مع طائفة من الكافرين فهم في ضمنه امتزاج المؤمنين مع الكافرين
مطلقا انتهام المطلق في ضمن المقيد فيجوز ان يرجع ضمير لو
تزيلوا الى المفهومين ضمنا ومن جملتهم المؤمنون في اصلاب الكافرين
على ما ذكر في الحديث المذكور وفي هذه الاية دليل على مراعاة
الكافر في حرمة المؤمن اذ لا يمكن اذاية الكافر الا باذاية المؤمن
قال ابو زيد قلت لابن القاسم ارايت لو ان قوما من المشركين
في حصن من حصونهم حصرهم اهل الاسلام وفيهم قوم من المسلمين
اساري في ايديهم ايحرق هذا الحصن ام لا • قال سمعت مالكا
وقد سئل عن قوم من المشركين في مراكبهم ايرمي بالنار ومعهم
الاساري في مراكبهم قال تعالى ما لك لا ارى ذلك لقوله تعالى
لاهل مكة لو تزيلوا الاية • وكذلك لو تترس كافر بمسلم لم يجز
رميه وان فعل ذلك فاعرف فانتف احدا من المؤمنين فعليه الدية
والكفارة وان لم يعلموا فلا دية وذلك انهم اذا علموا فليس لهم ان
يرموا فاذا فعلوه صار قتله خطا والدية على عواقلهم فان لم
يعلموا فلهم ان يرموا واذا ابيحوا الفعل لا يلزم عليهم شيء قال مالك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد حاصرنا مدينة في الروم فجبس منهم الماء فكانوا يتولون الاشارة
يستقون لهم الماء فلا يقدر احد على رميهم بالنبل فيحصل لهم الماء
بغير اختيارنا وقد جوز ابو حنيفة واصحابه رضي الله عنهم الرمي
في حصون المشركين وان كان فيهم اساري المسلمين واطفالهم ولو
تترس كافر بولد مسلم رمي المشرك وان اصيب احد من المسلمين فلا
دية ولا كفارة وقال الثوري فيه الكفارة ولا دية وقال الشافعي
بقول مالك وهذا ظاهر فان التوصل بالمحظور الى المباح لا يجوز
سيما بروح المسلم لكنه قد يجوز قتل التترس ولا يكون فيه اختلاف
اذا كان فيه مصلحة ضرورية كلية قطعية فعني كونها ضرورية
انها لا تحصل الوصول الى الكفار الا بقتل التترس ومعنى انها كلية
انها لكل الامة حتى يحصل بقتل التترس مصلحة كل المسلمين فان لم
يفعل قتل الكفار التترس واستولوا على الامة ومعنى كونها قطعية
ان تلك المصلحة حاصلة من قتل التترس قطعا قال الشيخ كمال
الدين بن الهمام في شرح الهداية ولا باس برميهم وان كان فيهم
اسير مسلم او تاجر • ولو تترسوا باساري المسلمين وصبيانهم
سواء علموا انهم ان كفوا عن رميهم انهزم المسلمون اولم يعلموا ذلك
الا انه لا يقصد برميهم الا الكفار فان اصيب احد من المسلمين
فلا دية ولا كفارة وعند الائمة الثلاثة لا يجوز رميهم في صورة
التترس الا اذا كان في الكف عن رميهم في هذه الحالة انهزام
المسلمين وهو قول الحسن بن زياد فان رموا واصيب احد من المسلمين
فعند الحسن بن زياد فيه الدية والكفارة وعند الشافعي فيه الكفارة

قوله

قوله احدا وفي الدية قولان وقال ابو اسحق ان قصد بعينه لزم
الدية علمه مسلما اولم يعلمه لقوله عليه السلام ليس في الاسلام
دم مفرج وان لم يقصد بعينه بل رمى الى الصف فاصيب فلا
دية عليه • اما الاولى فلان الاقدام على قتل المسلم حرام وترك
قتل الكافر جايز الا ترى ان للامام ان لا يقتل الاساري لمنفعة
الاسلام فكان تركه لعدم قتل المسلم اولى لانه مفسدة قتل المسلم
فوق مصلحة قتل الكافر وجه الاطلاق امران الاول انا امرنا بقتلهم
مطلقا ولو اعتبر هذا المعنى لاسد بابه لان خصاما ومدينة
فلما خلوا عن اسير مسلم فلزم من افتراض القتل مع الواقع من عدم
خلو مدينة او حصن عادة عند اهدار اعتبار وجوده فيه وصار
كرميهم مع العلم بوجود اولادهم ونسايهم فانه يجوز اجماعا مع
العلم بوجود من لا يحل قتله منهم بخلاف ما اذا لم يفترض وهو
ما اذا فتحت البلدة قال محمد اذا فتح الامام بلدة ومعلوم ان
فيها مسلما او ذميا لا يجل قتل احد منهم • الثاني ان فيه دفع
الضرر العام بالذب عن بيضة الاسلام باثبات الضرر الخاص
وهو واجب انتهى • ولا يخفى عليك ان الوجه الثاني لا يتم الا
فيما كان فيه دفع الضرر العام والمدعى اعم من ذلك ودعوى
ان كل قتال مع الكفار دفع للضرر العام محل تامل فان قلت
الاية حجة على الحنفية • قلت لا نسلم لان المعرة مجاز ويحتمل ان
يراد به ما سوى الكفارة والدية من التاسف وتعيير المشركين
وغير ذلك مما سبق وقيل اللام في قوله تعالى لتعذبنا الذين كفروا

جواب لكلامين احدهما قولا رجالد والثاني لو تزيلوا وقيل جواب
اولا محذوف لدلالة الكلام السابق عليه والعذاب الاليم هو القتل
والاسر وضمير منهم راجع الى مجموع المختلطين من الكفرة والمسلمين
كضمير لو تزيلوا اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية قال العلا
البيضاوي مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم انتهى اقول
الثالث ابعد من الثاني اما بعدهما فلانه لو كان متعلقا بصدوكم
او بعذبنا لكان ينبغي ان يقال اذ جعلوا بالضمير بدل الذين كفروا
لذكره قبل صدوكم وبعد عذبنا لانه لا يظهر نكتة الاظهار موضع
الاضمار حينئذ وامّا كون الثالث ابعد فلبعد المتعلق عن
المتعلق في اللفظ على ان تفخيم شان الحمية يناسبه الاستيناف المقدر بقد
بحيث يقتضيه كما لا يخفى على المذوق السليم والحمية الانفة فعلية
تقول حميت عن كذا حمية بالتشديد اذا انفت وداخلك عار او
ان تفعله والانفة الاستنكاف قال الزهري حميتهم انفتهم من
الاقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح بسم الله
الرحمن الرحيم ومنعهم من دخوله مكة وقيل عصبيتهم لاصنامهم التي
كانوا يعبدونها وانفتهم ان يعبدوا غيرها حمية الجاهلية التي
نشأ اذ عان الحق بدل عن الحمية او منصوب على الذم وهي انهم قالوا
قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا واللات والعزى
لا يدخلها ابدا • فان قلت الحمية من الكيفيات النفسية لهم فما معنى
جعلهم اياها في قلوبهم وايضا هل تكون الحمية الا في القلوب فما فائدة
التصريح بها • قلت انهم كانوا موصوفين بالحمية قبل ذلك كما مر

شان

شان الكفار ولكنها ما كانت بحيث تحملهم على ان يفعلوا ما لا يعتقد
في دينهم من منع الزوار وصدهم فازدادت حميتهم يومئذ على
خلاف عادتهم القديمة فالحمية الحادثة التي ظهرت منهم يومئذ
لم تكن من افعال قلوبهم وقد اختاروها فجعلوا في قلوبهم ما لم يكن
من شانه ان يجعل فيها واسند الجعل اليهم وان كان في الحقيقة فعل
خالق الافعال ففي هذا ينبغي ان يحمل اللام في الحمية على الاستغراق
تنزيلا لتلك الحمية منزلة كل حمية مبالغة وكذا يحمل اضافة الحمية
الى الجاهلية على الاستغراق واذا تمهد هذا فنقول التصريح بذكر
القلوب على سبيل الظرفية تصوير تشبيه لطيف هو كون قلوبهم
كوعاء قد ملاوها من حمية الجاهلية وانما قلنا ملاوها لان
الظروف اذا كان في غاية الكثرة يغني عن امتلاء الظرف منه
والكثرة تستفاد من الاضافة الاستغراقية كما ذكرنا ويمكن ان
يراد من جعلهم اياها في القلوب تثبيتهم اياها فيها والعمل يقتضيها
وترك مخالفتهم اياها بمنزلة الجعل المتقدم تنزيلا لانتفاء مترتبة الاحداث والله اعلم
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اي انزل عليهم الثبات
والوقار وقيل تثبيتهم على الرضا والتسليم ولم يدخل في قلوبهم
ما دخل في قلوب اولئك من الحمية والتغيير الاول يقتضي هذا لان
الثبات والوقار لا يحصل بدونه • روى البيهقي في الدلايل عن سهل
ابن حنيف انه قال جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله السنا على الحق وهم على الباطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة
وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ولما يحكم

الله بيننا وبينهم فقال يا عمر بن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله
ابدا فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء ابو بكر فقال يا ابا بكر السنا على
الحق وهم على الباطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في
النار قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا قال يا ابن الخطاب
انه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا فنزلت سورة الفتح فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فاقراه اياها فقال يا رسول الله
افتح هو قال نعم انتهى فعلم من هذا ان انزال السكينة في ذلك الوقت
كان من اعظم النعم • وقيل المراد تحية الدين كمزوا وسكينة المو
مايروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث
قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز
ابن حفص بن الاخنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان
يرجع من عامه ذلك وان يخلي له قريش من العام القابل ثلثة ايام
فنعرف ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن
اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل مكة فقال لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
فهم المسلمون ان يابوا ذلك واشمأز وامنه فانزل الله على رسوله
السكينة فثوقروا وحملوا وانما اضاف السكينة اليه سبحانه اضافة
تشريف ههنا وقال فيما تقدم انزال السكينة في قلوب المومنين تعظيما
لشان المنزل عليه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وتكويما له

والمومنين

والمومنين تعالى وانما اتى بكلمة على مرة اخرى في قوله على رسوله
وعلى المومنين اشارة الى التفاوت بين ما انزل على الرسول صلى الله
عليه وسلم وما انزل على المومنين بحسب التفاوت بين الرتبتين وقوله
الثاني في قوله فانزله للدلالة على ان انزال السكينة كان مرتبا على
ظهور الحمية من الكفار ترتب المسبب على السبب بغير تراخ لغاية
الاهتمام باصلاح قلوب المومنين في مقابلة افساد قلوب الكفار
والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وقد يلحظ المعاني بتوسط لحوق
الذوات الحاملة لها وههنا ان كان انزال السكينة بتوسط الملك
فالامر ظاهر والا فعلى الاستعارة تشبيها لمن اتى من العالية
الى السافلة بما نقل من الاعلى الى الاسفل والزمهم كلمة التقوى قال
العلامة البيضاوي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول
الله اختارها لهم او البسملة والوفا بالعهد انتهى • الكلمة اللفظة
الواحدة وقد يراد بها لغة ما يشتمل على الفاظ كالقصيدة وفي
عرف النحو الكلمة الباقية وكلمة التوحيد معناها واحد
كلمة التقوى واضافتها الى التقوى لانها سببها واساسها وقيل
معناها كلمة اهل التقوى والزامهم اياها تثبيتهم عليها بحيث
لا يفارقونها ابدا واما ارادة البسملة والوفا بالعهد فلعلها
باعتبار كونه مسبوقا بكلمة تذكر عند انعقاده كما سمي عيسى عليه
السلام بكلمة الله لانه كان بكلمة كن وكانوا احق بها اي كان النبي
والمومنون احق واجدر بكلمة التقوى من غيرهم ممن لم يلزمهم الله
اياها كالكفار مكة وهذا في الحقيقة تعليل لما دل عليه ما قبله من

تخصيصهم بكلمة التقوى دون غيرهم لان الحكمة الالهية اقتضت
تخصيص طايفة بالهداية واخرى بالضلالة وقد كانتا لاستعدادات
مختلفة في قبول الهداية منها ما كانت في غاية المناسبة للقبول
بحيث تكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ومنها ما كانت في غاية
البعد عنها فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار فتعينت الاولى لكلمة التقوى لان العدل وضع الشيء في محله
والحكمة فعل الشيء كما ينبغي **وَاَهْلَهَا** معطوف على خبر كان في القاموس
هو اهل لكذا مستوجب اياه للواحد والجمع اي كانوا مستاهلين
لتلك الكلمة • فان قلت اما كان ذكر الاحقية مغنيا عن ذكر
الاهلية • قلت لا لان الاحقية امر اضافي بالنسبة الى كفار مكة
ولا يلزم من كونهم احق بها منهم كونهم مستوجبين اياها وكان ذكر
الاهلية بعد الاحقية من باب الترقي من الادنى الى الاعلى ولا
يخفى عليك ان قوله الزمهم كلمة التقوى تضمن امرين احدهما تخصيصهم
بها دون غيرهم والثاني جعلها لازمة لهم فذكر سببيهما على سبيل
اللف والنشر المرتب فالتخصيص للاحقية واللزوم للاهلية لتقدير
الحق في مقره واختيار الراجح على المرجوح **وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**
قال العلامة البيضاوي فيعلم اهل كل شيء وتيسره له انتهى اشار
الى ان علمه بكنه الاشياء اقتضى ظهور الآثار على ما ينبغي فلا جرم
انزل السكينة على الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين بعد ظهور
حمية الجاهلية والزامهم كلمة التقوى اراد ان يبين صدق الرسول
صلى الله عليه وسلم في رؤياه الدالة على دخولهم المسجد الحرام جميلا

السكينة

السكينة بهم وتثبيتا لهم على موجب الكلمة وهو تصديق الرسول صلى
عليه وسلم في رؤياه ورد على المرتابين فيها من المنافقين فقال
لَقَدْ صَدَقَ اللّٰهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا الصدق بالكسر والفتح ضد الكذب
او بالفتح مصدر وبالكسر اسم يقال صدق في الحديث وصدق فلانا
الحديث قال الامام الرازي نقلا عن الواحدي الرؤيا مصدر
كالبشرى الا انه لما صار اسما للمتخيل في المنام جرى مجرى الاسما
قال صاحب الكشاف والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان
منها في المنام دون اليقظة فالجرم فرق بينهما بحرفي التانيث
كما قيل الغربة والغربى انتهى ثم قال الامام في موضع اخر قد بين
انه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى
عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ والمانع لها من ذلك اشتغال
بتدبير البدن وفي وقت النوم يقل هذا التشاغل فتقوى على
هذه المطالعة فاذا وقفت الروح على حالة من الاحوال تولت
آثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال
فالمعبر يستدل بتلك الآثار الخيالية على تلك الادراكات
العقلية فهذا كلام مجمل وتفصيله مذكور في الكتب العقلية
والشرعية نوكل له • عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا
ثلاثة رؤيا ما يحدث به الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
والرؤيا التي هي الرؤيا الصادقة حقه وهذا تقسيم صحيح في
العلوم العقلية • وقال عليه السلام رؤيا الرجل الصالح جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة انتهى كلامه • روي انه رأى

شبكة الألوكة www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة امنين وقد حلقوا
وقصروا فقص الرويا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون
في عامهم فلما تاخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا
راينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه ولم يكذبه وفيه
تعريض الى ان المرتابين في صدق رؤياه زعموا نسبة الكذب اليه
سبحانه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لان مقام الانبيا وحي
فتكذيبه تكذيب لمن اوحى اليه كما قال تعالى فانهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون والتعريض انما يستفاد من
التاكيد القسمي لان الكلام المؤكد به انما يكون لرد الانكار
الشديد • وقيل كانوا المرتابين لذلك عبد الله بن ابي وعبد الله بن
نفيل ورفاعة ابن الحوت • واللام في قوله لقد صدق الله موطية
للقسم على ما قال العلامة البيضاوي في قوله تعالى ولقد علمتم
الذين اعتدوا والمؤثر الكلام والله لقد صدق الله لكن المفهوم
من كلام بعض المحققين ان اللام الموطية للقسم انما تختص بما اذا
كان المقسم عليه جواب شرط مستقبل وقبل ذلك قسم نحو قولك
والله ان اتيتني لاتينك تسمى موطية اي ممهدة ومعينة لكون
الجواب للقسم لا للشرط بالحق يجوز ان يكون حالا اي الرويا اي
صدقه الرويا بتلبسه بالحق على معنى انها لم تكن من اضغاث
الاحلام والحق ضد الباطل والاضغاث باطل لا وجود لها بالجزم
وهم وله معان اخر منها الوجود الثابت ويجوز ان يراد هنا الامر
ما اراه كائن لا محالة في وقته المقدر له ومنها الواجب تعالى

لان

لانه من اسمايه تعالى ويجوز ان يراد ههنا فتكون الباء حينئذ للقسم
وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم
محذوف ومنها الصدق فان اريد ههنا كون توكيدا لتعلق لقد
صدق فالله في المعنى ومنها الحرم ولا يبعد ان يراد ههنا ان شا
الله جملة انشايية شرطية تفيد مضمون الجملة الاولى جزاها
محذوف لدلالة الجملة الاولى عليه قال العلامة الزمخشري فان
قلت ما وجه انشا الله في اخبار الله عز وجل • قلت فيه وجهان
ان يعلق عدته بالمشية تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم
مثل ذلك مادبين باداب الله ومقتدين بسنته او ان يريد
لتدخلن جميعا ان شا الله ولم يمت منكم احد وقال العلامة
البيضاوي تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد واشعارا
بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله تلك الرؤيا
او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه انتهى لعله غير الجواب المنافي
مما في الكشاف الى الاشعار المذكور بنا على انه يتجه عليه انه
لا يدفع اصل السؤال لانه علم تعالى كما احاط بدخولهم المسجد
في وقت خصصته الارادة به احاط بانهم يدخلون جميعا او بعضا
فما معنى ان الشرطية الدالة على التردد بين ان يدخلوا جميعا
او بعضا في كلامه تعالى وما ذكر من الاشعار انما يحسن اذا
صح ان بعضهم لم يدخل ولكن ان تقول تعليق دخول الكل بالمشية
لا يشعر بان بعضهم لا يدخل الان تعليق دخول المجموع بالمشية
بكلمة ان حقيقته التردد في دخول المجموع وعدمه وليس بمراد

ولو اريد لما كان فيها اشعار بعدم دخول البعض والمعنى المجازي
الذي لا يفيده لكن غير ظاهر اللهم الا ان يقال ان الشك في كلامه
الله غير متصور ودخولهم في المسجد مقرر في علم الله فلو كان متعلق
علمه دخولهم الكل لم يبق للتعليق بالمشية فايدة مع ان المعروف
في اخبار الله القطع فيما يخبر به عن المغيبات فاستعير ما وضع
لتجويز الوجود والعدم بحسب العقل لتجويز ما في نفس الامر
فدلت كلمة انشاء على تجويز عدم دخول المجموع في نفس الامر ومن المعلوم
ان كل ممكن يجوز عدمه فلا فايدة في ذكره الا الاشعار بان جواز
العدم ينتهي الى وقوعه وهو باعتبار عدم البعض لازم دخول
الاكثر امر مقرر كما اشرنا اليه والله اعلم • ثم ان التوجيه الثالث
والرابع مبنيان على ان قوله لتدخلن الى اخره تفسير وبيان للرؤيا
فالله سبحانه وتعالى يحكي ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
على الوجه الذي الفي اليه الملك الذي اوحي عليه مضمون الخبر
بمكة ولا شك ان الملك يعلق ما يخبر فيه بالمشية تاديبا وان كان
يعلم انه كائن لاستحالة باخبار الله اياه او يحكي ما راه على الوجه الذي
عبر به صلى الله عليه وسلم حين قصه على اصحابه والاول اظهر وقيل
هو تعليق لقوله تعالى آمنين والاشكال باق على حاله والجواب
كما مر وهو حال من الواو والشرط معترض بعني امنين من العدو او من
العذاب يوم القيمة كما قيل في قوله تعالى ومن دخله كان آمنا
او من كل ما يخاف منه كما يدل عليه الاطلاق محلقين رؤسكم
ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا الخرون حالان اخران عن

المضمر

المضمر المذكور في احوال متتالية الا ان الثانية والثالثة اما
هي معتدة كقوله تعالى ادخلوها خالدين او على التوسعة في زمان الحال
بان يشمل ما هو قريب منه والتحليق للرجال والتقصير للرجال
والنساء جميعا والحلق افضل • عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول
الله قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال رحم
الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال والمقصرين وفي
بعض الروايات قاله في الرابعة واستدل الحنفية بهذه الاية على وجوب
الحلق والتقصير بانه تعالى اخبر بدخولهم محلقين فلا بد من الوجوب
الحامل على الوجود فيوجد المخبر به ظاهرا او غالبا ليطابق الاخبار
غير ان هذا التاويل ظني فيثبت به الوجوب لا القطع وعند الشافعي
رحمه الله ركن في الحج والعمرة لا تخافون حال موكدة او استيناف
اي لا تخافون بعد ذلك كذا ذكر العلامة البيضاوي والاول اعمل
ان يكون حالا من الضمير المذكور فيكون من الاحوال المترادفة او عن
ضمير محلقين ومقصرين فيكون من الاحوال المتداخلة ويجوز مثل
ذلك في محلقين بالنسبة الى امنين وفي ذكر الحلق والتقصير اشارة
الى توفيق الناسك من اوله الى اخره اما في العمرة فظاهر واما
في الحج فالحلق انما يقع بعد معظم الاركان وبامن بعد ذلك عن فوات
الحج في تلك السنة لسعة وقت طواف الزيارة وفي ذكر ما يدل على
ازالة التفث عن الظاهر اشعار بازالة الذنوب عن الباطن وهو
المطلب الاعلى والمقصد الاسنى من المناسك ويمكن ان يكون المراد من

قوله امنين الامن عن العدو ومن قوله لا تخافون بعد الخوف والتقصير
عدم الخوف من عذاب الاخرة قال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون • فان قلت الخوف لازم الايمان فكيف يتصور سلبه
عن المومن • قلت المراد ما يخاف هتة لانه اذا رفع عنهم ما يوجب
الخوف فكانه ارتفع عنهم الخوف فعلم ما لم تعلموا اي علم الله ما لم
تعلموا يعني المومنين من الحكم البالغة في تاخير دخولكم المسجد الحرام
وفتح مكة الى غير ذلك قاله العلامة الزمخشري من الحكمة والصواب
في تاخير فتح مكة الى العام المقابل واورد عليه انه لم يكن فتح مكة
في العام المقابل انما كان بعد ذلك باكثر من عام لان الفتح كان سنة
ثمان من الهجرة وكان خروجه من المدينة عام الحديبية سنة ست
من الهجرة • روي انه عليه السلام لما رجع مضى منها الى خيبر واخذ
من العدة والقوة اضعاف ما كان فيه من ذلك العام واقبل الى مكة
على هيبة وقوة وعدة باضعاف ذلك • وقيل علم ان بمكة رجالا
مومنين ونساء مومنات لم تعلموهم والاظهر انه من جملة ما يندرج
في قوله ما لم تعلموا وقد تفيد الفاء العاطفة في الجملة كون المذكور
بعدها كلاما مرتبا في الذكر على ما قبلها لا كونه عقيب ما قبلها في الزمان
كقوله تعالى ثبتوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وهمنا
كذلك لان علمه تعالى ليس بمتاخر حسب الزمان عما ذكر قبله لكن حتمية
في الذكر ان يذكر بعده لانه لما قال لقد صدق الله رسوله الرويا
علم ضمنا ان الله في تاخير موجب الرويا حكمة فكان قوله فعلم ما لم
تعلموا تصريحا بما علم ضمنا فحمه ان يذكر بعده لان الاجمال يشوق الى

التفصيل

التفصيل والايما الى التصريح وذلك اوقع في النفس ولا يذهب عليك
ان فيه نوع تفصيل باعتبار دلالته على فخامة شان تلك الحكمة تارة
ابهام الموصول اعني كلمة ما وافادة اختصاصه تعالى بعلمها تارة وتنكيرها
وباعتبار سياق الكلام على ما لا يخفى على الفطن وكذا الفاء في قوله تعالى
فجعل من دون ذلك فتحا قريبا فانه لما ذكر ان له في تاخير موجب
الرويا حكمة ترتب ان يذكر بعد ذلك ما يستريح اليه قلوب المومنين
الى ان يتيسر الموعود وفي القاموس دون بالضم بمعنى امام وورا
ضدين وفسر بكل منهما ههنا فالمعنى على الاول من قبل دخولكم المسجد
او فتح مكة واختاره العلامة البيضاوي وعلى الثاني من بعد رويا
النبي صلى الله عليه وسلم والمراد من الفتح القريب فتح خيبر وقيل فتح
مكة وهذا مبني على الثاني • وقال مجاهد هو صلح الحديبية لانه انما
كان القتال حين يلتقي الناس فلما كانت الهدنة وضعت الحرب
اوزارها وامن الناس بعضهم بعضا فالتقوا وتنادوا وضع الحديث
والمناظرة فلم يكلم بالاسلام احد يعقل شيا الا دخل فيه فلقد دخل
في تلك السنتين في الاسلام مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك واكثر
يدل على ذلك انهم كانوا سنة ست يوم الحديبية الفا واربعمائة
وكانوا بعد عام الحديبية سنة ثمان في عشرة الاف وجعل من
الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
وبمعنى واجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله وجعل الظلمات والنور
وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين والظاهر ان المراد ههنا المعنى
الثالث ومفعوله الاول فتحا والثاني الظرف قدم ليختتم الكلام

بقوله فتحا قريبا رعاية لتفاصل وكلة من يحيي معيني في نحو قوله تعالى
اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة واجاز قوم زيادتها في الايجاب
هو الذي ارسل رسوله استيناف يحقق ما ذكر قبله من وعد
النصر والفتح وتصديق الرويا وغير ذلك لان المراد من ارسال الرسول
اذ اكان اعلاه على الاديان كلها فلا محالة انها كاينة وكرر في اثنا
السورة هذا الاسلوب اعني التعبير عن ذاته المقدس بضمير هو
واثبات الموصول الذي صلته معلوم للمخاطبين كقوله هو الذي
انزل السكينة هو الذي كف ايديهم عنكم ايقاظا لهم وتنبيها على
ان ما يدل على كمال قدرته الباهرة الموجبة لانجاز وعده واعلاء دينه
معلوم عندكم فاذا سألتم فيه لم يبق لكم ريب في ان الغرض العلية
بالاخرة لكم والمراد من رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فالاضافة
عهدية والقرينة سياق الكلام وقوله ليظهره على الدين كله لانه
مختص به وما بعده على ما سيجيء بيانه ان شاء الله بالهدى وقد مر
تفسيره في اول السورة قال العلامة البيضاوي متلبسا به او بتبليسه
او لاجله انتهى فعلى الاول ظرف مستقر حال عن رسوله وتبليسه
باعتبار ان الدلالة على ما يوصل الى الحق وصف قايم به وعلى الثاني
والثالث ظرف لغو متعلق بارسل والباء للسببية لكن السببية على
وجهين احدهما ان مدخول الباء باعتبار وجوده في الخارج علة لما
قبلها وهو المعنى الثالث فان الهداية من صفات الله تعالى لانه
الهادي فوجوده في نفس الامر اقتضى ارسال الرسوله فان قلت
الهداية من الصفات الفعلية وتحققه مع تحقق الاهتداء والا

بعد

بعد الارسال فكيف يتصور تقدمه على الارسال قلت الحادث
المقرون مع الاهتداء انما هو التعلق واما نفس الهدى القيام بذات
القديم قديم وثانيهما ان مدخول الباء باعتبار وجوده العلمي سبب
لما قبلها وباعتبار وجوده الخارجي متاخر عنه كالنوح بالنسبة الى
التجارة وهو المعنى الثالث ويقال له العلة الغايية وقد سبق ان
افعال الله غير معللة بالعلل الغايية ولا غيرها من العلل ولكن
يقال لها فوايد ومصالح ومنافع لان الحكيم المختار لا يفعل شيا
الا وله مصلحة ومنفعة ترجع الى العباد ودين الحق دين الاسلام
ليظهره اي ليعليه والظاهر ان ضمير الفاعل راجع اليه سبحانه
وضمير المفعول اما يرجع الى الرسول والمضاف محذوف اي ليعلي دينه
او باعتبار ان اعلاه كناية عن اعلاء دينه ويجوز ان يكون ضمير الفاعل
راجع الى الرسول وضمير المفعول الى دينه على الدين كله السلام
للاستغراق فالمراد الاديان كلها من اديان المشركين الجاحدين
واهل الكتاب واعلاه عليها بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان
باطلا او بتسليط الموحدين على اهل كل دين اذ ما من اهل دين الا
وقد قهرهم المسلمون والدين بالكسر الملة من زاد له اي اطاعه
سمي به لكونها مطاعا لاهلها ويجوز ان يكون من زانه اذا اجاد
فان اهل كل دين يجزمون به ويجوز ان يكون ماخوذا من الدين
بمعنى العادة لانها عادة بالنسبة الى من يتدين بها في تفسير
القرطبي الدين بمعنى المصدر ويستوي فيه الواحد والجمع لعله
الا ان يكون بمعنى المصدر باعتبار الاصل والا فمعناه الملة وهي

الطريقة المسلوكة لا رتياب المتأمل ثم ان الاظهار على الاديان كلها
من خصايص دينه صلى الله عليه وسلم لان غيره من الانبيا ليس له
ذلك قال العلامة الزمخشري ولقد حقق ذلك بسحانه فانك لا ترى
دينا الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزوله
عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل اظهاره
بالحج والاديان **وكفى بالله شهيدا** على انه ما وعده كائن عن الحسن
شهيد على نفسه انه سيظهر دينك وقيل شهيدا على انه رسول
الله لان الكفار ابوا ان يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال
فتحة اي كفى الله شهيدا على انه شهيد اتميز عن نسبة الفاعل اي
شهادته وقال الزجاج دخلت الباء لتضمين معنى اكتف وحسنه ان
مالك وصح قوله بقولهم اتقى الله امرئ وفعل خير اثيب عليه اي
ليتق الله وليفعل بدليل جزم يثب والمعنى اكتف بالله فالخبر بمعنى
الامر • وقال ابن السراج الفاعل ضمير الاكتفا اي كفى الاكتفا بالله
حاله كونه شهيدا وصحة قوله موقوف على جواز تعلق الجار بضمير المصدر
وهو قوله الفارسي والرماني اجاز مروري بزيد حسن وهو بعمرو
قبيح والجازالكوفيون اعماله في الظرف وغيره ومنع جمهور البصريين
اعماله مطلقا وعلى تقدير كونه زايدة لا يحتاج الى متعلق والاصل
ان افعالا قصرت عن الوصول الى الاسما عينت على ذلك بحروف
الجر فهي لا يصالها معنى الفعل الى محل خولها فلا بد من متعلق واما
الزايد انما يدخل في الكلام تقوية له وتوكيدا ولم يدخل للربط فلا
يحتاج الى متعلق **محمد رسول الله** قال العلامة البيضاوي جملة

مبينة

مبينة للمشهود به وهذا مبني على القول الثاني في تفسير متعلق الشهادة
على ما مر وكان ترك العاطف حينئذ لكمال الاتصال ثم قال ويجوز ان
يكون رسول الله صفته ومحمد خبر محذوف ويبتدا وهذا على تفسير
الاول والثاني فعلى تقدير ان يكون خبر محذوف تقديره الكلام وهو
راجع الى رسوله في قوله ارسل رسوله وعلى تقدير ان يكون مبتدا
ورسول الله صفته **والذين معه** معطوف عليه تخبر عما **اشداء**
على الكفار رحما بينهم وعن ابن عامر انه قرا رسول بالنصب على
المدح والذين معه اصحابه وقيل جميع المومنين فالمراد من المعية
المشاركة في الدين اشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم
يغلظون على من خالفهم في الدين ويتراحمون فيما بينهم اي يرحم
بعضهم بعضا وقيل متعاطفون متوادون قال العلامة الزمخشري يليح
من تشددهم على الكفار انهم كانوا يحترزون من تبايهم ان تلوث
ثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم ويبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه
كان لا يرى مومن مومنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم يختلف
فيها الفقها واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذا التقبيل
وقال لا احب ان يقبل الرجل وجه الرجل ولا يده ولا شيا من جسده
وقد رخص ابو يوسف في المعانقة • ومن حق المسلمين في كل زمان ان
يراعوا هذا التشديد وهذا التعطف انتهى كلامه يعلم من الاية
الكريمة ان كمال المومن ان يجمع بين الوصفين فما عليه متصوفة زماننا
من اظهار التواضع والتواضع مع الظلمة والفسقة وغيرهم زعما
منهم انه من حسن الخلق خلاف مقتضى النص وليس من حسن الخلق بل

هو مداهنة في الدين لاغراض راجعة الى حظوظ انفسهم فان قلت
مورد الاية الكفار لا غير قلت يفهم ضمنا استحباب الشدة على الفاسق
وان كان دون الشدة مع الكافر لان المقصود من اظهار الشدة
على الكافر اظهار التصلب في الدين والانقطاع عن موالاته احترازا
عن تاثير صحبتهم واظهار البغض عليهم ليتزجروا ولعلهم ينتهون وهذه
العلة جارية في حق الشدة على الفاسق مع ان ارتكابه اقرب والشفقة
عليه اولى وخلاصة المضمون الحب في الله والبغض لله وانما قدم
الشدة على الرحمة لان المجاهدة مع النفس فيها اكثر لان الملايمة
تقتضي الطبع خصوصا مع الاقارب الذين كانوا احبابا واصدقاء
قبل ظهور الاسلام مع انه يترتب على الشدة انواع من العداوات
الموجبة لانواع من المضرة بحسب الدنيا ولانها امم في اعلاء الدين
قال الله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض
اي يكثر القتل ويبالغ فيه وانما ذكر كلمة على في جانب الشدة ليدل
على استعلائهم بالنسبة الى الكفار ولم يذكرها في جانب الرحمة
اشعارا بان رحمتهم بالنسبة الى المومنين لم يكن على وجه الاستعلاء
بل على سبيل التواضع كما قال تعالى واخفض جناحك للمومنين وقرا
الحسن اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب على المدح او على الحال
واصل بينهم ان يكون مصدرا بمعنى الفراق فتقدير جلست بينكما اي
مكان فراقكما وتقدير فرقت بين دخولك وخروجك اي زمان فراق
دخولك وخروجك فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فبين يستعمل في الزمان والمكان كذا افاده المحقق الرضي لكن المكان

قد يكون حقيقيا وقد يكون تنزيليا فان كل امرين مستقلين يعتبر
بينهما ما هو بمنزلة مكان واقع بين جسمين غير متصلين فيعبر عنه
بكلمة بين تراهم خطاب عام اي تراهم ايها الراي ركعا جمع راكع
سجدا جمع ساجد اي تراهم راكعين ساجدين اذا نظرت اليهم في اوقات
الصلوة او في اكثر اوقاتهم وهذا هو المناسب في مقام المدح بالنسبة
اليهم كما يشعر به عدم تقييد الرويه بوقت دون وقت والجملة خبر
المبتدا على تقدير نصب اشداء وخبر بعد خبر على تقدير رفعه واستيناف
لبيان معاملتهم مع الخالق تعالى بعد بيان معاملتهم مع المخلوقين
فانهم اذا وصفوا بكونهم مشغولين في اكثر اوقاتهم بالصلوة المشتملة
على غاية الخضوع والخشوع واشتغال الجوارح كلها بالعبادة والتقلب
بالذكر واللسان بالمناجاة والبصيرة بالمشاهدة علم انهم على اكمل
وجوه العبودية رضي الله عنهم ورضوا عنه وحاصل الركوع والسجود
بالذكر لمزيد الخشوع والخضوع فيهما ولا يخفى عليك ما في صيغة
المضارع من الدلالة على الاستمرار التجددي اي تراهم دائما على الوصف
المذكور كلما تجدد منك رويه تجدهم راكعين ساجدين ويحتمل ان
تكون الجملة حالا عن ضمير اشداء ورحماء والمذكور دوام عبادتهم اراد
ان يذكر اخلاصهم فيها فقال يبتغون فضلا من الله ورضوانا
قال العلامة البيضاوي الثواب والرضا والابتغاء هو الطلب
والفضل في الاصل ضد النقص وهو الكمال سمي به الثواب لانه كمال
للمنعم لكونه بغير عوض وللمنعم عليه لانه السعادة الابدية فان
قلت قوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون واشباهه يدل على انه

شبكة الألوكة www.alukah.net

عوض الاعمال الصالحة لان الباء للمقابلة وليست للسببية كما هو مذهب
المعتزلة لان المعطي لعوض قد يعطي مجانا واما المسبب فلا يوجد بدون
السبب كما قيل قلت لو سلم كونها للمقابلة والمعارضة فلا ينافي ما قلنا
لان الكريم اذا اعطى خزائن من الجواهر وغيرها في مقابلة هدية فقير
يقال لها في المثل مقابلة جاءت برجل من جراد وقال هذا عوض ما اهديته
لنا مسامحة منه وتفضلا وجبرا لخاطر فيملا بجراده تلك الهدية
لم يصر في نفس الامر تلك الهدية بهذا الكلام عوضا ومقابلا لتلك
الخزائن بل يصح في نفس الامر ان يقال اعطاها تفضلا منه واحسانا لان
وجود تلك الهدية وعدمه في مقابلة تلك الخزائن سيان على انه
يجوز ان نحمل الباء على السببية ونمنع ما ذكر في ابطالها لان الاسباب
العادية لا تاثير لها في المسببات فقد يتحقق بدونها لا يقال المسبب
من حيث انه مسبب لا يوجد بدون السبب لانا نقول العوض ايضا
من حيث انه عوض لا يوجد بدون المعوض عنه فما هو جوابكم فهو جوابنا
والجملة حالية اي تراهم راكعين ساجدين حال كونهم يبتغون او مستانفة
كانه لما قيل اركعوا اسجدوا قيل لما يبتغون فاجيب بانهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا او تاخير الرضوان من باب الترقي الى الاعلى
فان قلت كمال العبودية ان تعبد الله لكمالاته الذاتية وانتفاؤه
للعبودية من غير التفات الى ما يرجع اليه من الاغراض والصحابة
اكمل العابدين فكيف يبتغون الثواب في عباداتهم. قلت لا يضر ذلك
في اخلاصهم لان طلبهم الجنة والثواب لامتثال امره سبحانه حيث
قال تعالى قال ربكم ادعوني استجب لكم فالمراد من ابتغاء الثواب هو

الرضا والهذا ختم به والله اعلم سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذكر
العلامة البيضاوي يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود
فعلى من سامه هذا اعلمه وقد قرئ ممدودة ومن اثر السجود بيانها
او حال من المستكن في الجار انتهى وقد اختار في تفسير السيما ما اختاره
العلامة الزمخشري حيث قال المراد السمة التي تحدث في جبهة الساجد
من كثرة السجود وكان كل من العليين علي بن حسين زين العابدين
وعلي بن عبد الله بن عباس اذا في الاملاك يقال له ذو الثفنات لان
كثرة سجوده مما احدثت في مواقعه منها اشباه ثفنات البعير
انتهى. الثفنات جمع ثفنة البعير وهي ما تقع على الارض من اعضائه
اذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما وانما سمي ابن عبد الله
رضي الله عنهما ابا الاملاك لانا ولاده كانوا ملوكا وفي القاموس
السومة بالضم والسيمة والسيما والسيميا بكسرهن العلامة انتهى
واذا عرفت هذا فقول تفسير السيما بما فسر به بعيد جدا من
وجوه اما اولا فلانه تعالى وصف المذكورين اولا بالتصلب في
الدين وثانيا بالترحم على المومنين وثالثا بدوام العبادة وراعهم
ساجدين ورابعا بكونهم في العبادة مخلصين فالسيما المذكور في
المرتبة الخامسة من مراتب المدح اثر الماهو اعلى مقامات العبودية
وهو السجود ينبغي ان يكون احسن العلامات المرتبة في العبادات
ليحصل به الترقي في المدح المفهوم من هذا السياق والسنة الحاكمة
في جبهة الساجد ليست لهذه المثابة يدل عليه ما روي عنه صلى
الله عليه وسلم لا تقلبوا صوركم اي لا تؤثروا فيها بشدة اعتمادكم

فان قلت قد اجيب عنه بان المراد من الحديث ما اذا اعتمد بجهته على الارض
بحدث فيه تلك رياء ونحو فاقلت هذا ويل والمتبادر هو العموم
على انه لو سلم فالعلامة يتوهم فيه الرياء فعدمه خير من وجوده
وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يري بين اعيننا شيء ونري احدنا
الآن يصلي فيري بين عينيه ركبة العنز فما ندري اثقلت الارض
ام خفت الارض فان صح هذا دليلا على انه لم يكن في زمن الصحابة
تلك السمة في جبهتهم واما نحن فلذا السيما بالتفسير المذكور
لا وجود لها الا في دار الدنيا • وقد روي عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله سيماهم قال النور يوم القيمة
واخرج الطبراني عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الانبياء يتباهون يوم القيمة ايهم اكثر اصحابا من امته فارجو ان اكون
يومئذ اكثرهم كلهم واردة وان كل رجل منهم يومئذ قائم على حوض
ملان معه عصا يذود من عرف من امته وكل امة سيما يعرف بها
بنبيهم • واما انا فلانه اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي
حاتم والبيهقي في سننه عن حميد بن عبد الرحمن قال كنت عند ابن
ابن يزيد اذ جاءه رجل وفي وجهه اثر السجود فقال لقد افسد هذا
وجهه اما والله ما هي السيما التي سمي الله ولقد صليت علي وجهي منذ
ثمانين سنة ما اثر السجود بين عيني • وعن مجاهد قال ليس له اثر في
الوجه ولكنه الخشوع قال منصور سالت مجاهدا عن قوله تعالى
سيماهم في وجوههم اهو اثر يكون بين عيني الرجل قال لا ربما يكون
بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو اقسى قلبا من الحجارة ولكنه نور

في وجوههم من الخشوع • وعن عطا استنارت وجوههم من طول ما صلوا
بالليل وعن ابن عباس رضي الله عنه قال السيما في الدنيا هو سمة
الحسن وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سيماهم قال قال
جبريل اذا نظرت الى الرجل من امتك عرفت انه من اهل الصلاة بما ترى
الوضوء واذا اصبح عرفت انه قد صلى من الليل وهو يا محمد العفاف في
الدين والحياء وحسن السمة • وقال سفيان الثوري يصلون بالليل
فاذا اصبحوا رؤي ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله عليه وسلم
من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار • وقال عطا الخراساني
وحاصل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس نعلم من مجموع
الاخبار والآثار ان ليس المراد من السيما ما يحدث في الجبهة على ما قال
ولكن اختلفت العبارات في التعبير عن المراد والكل متقاربة فان
حسن الوجه والسمة الحسن ونور في الوجه ما لها واحد واما الخشوع
والحياء والعفاف والوقار فلا يراد بها ظواهرها بل آثارها لان
الظاهر في الوجوه ليس الا الآثار وما له تلك الآثار هو الذي عبر
عنه بالحسن والنور والحاصل ان حقيقة السيما متضمنة لجميع ما ذكر
في التعريفات المذكورة وهي رسوم له وكل واحد منها تعريف بخاصة
من خواصها وليست من مقولة الالوان وما اشبهها بل هي امور يدرك
الانسان عند النظر الى وجوههم فيقبل اليه قلبه ويحبه ان
يكرر النظر اليها ويذكر الله عند مشاهدته واليه اشار صلى الله
عليه وسلم بقوله اذا رؤوا ذكر الله والعبادة فاحترز عن بيان كنهه
فلا محالة يعبر عنه باحدى التعبيرات المذكورة او ما ضاهاها

ومما روي عن الضحاك ليس بالندب في الوجوه ولكن صفرة بعد لانه
لانه قد يشاهد في وجه انسان لا تصور الصفرة في وجهه كزنجي
اشد سوادا من الفحم والغراب والندب بالتحريك الجرح اذا لم يرتفع
عن الجلد • وعن سعيد بن المسيب ندي الطهور وتراب الارض ولا
يخفى ما فيه بعد ما عرفت من التفصيل • فان قلت لا نزاع في ان السيما
مدرك في الوجوه بحاسة البصر ولا يدرك بحاسته ما ليس بجسم ولا
لون ولا شكل ولا غير ذلك مما يبصر • قلت لا نسلم ان صورته
ترتسم في الباصرة بل في العقل عند استعمال الة البصر على انه يجوز
ان يدرك البصر ما ليس بمحسوس فان الله تعالى وتقدس يرى في
دار الاخرة بحاسة البصر مع تنزهه عن الجهة والكيف فان قلت
ذلك في دار الاخرة • قلت المقصود بيان الامكان • فان قلت
قد قال تعالى من اثر السجود والسجود انما يكون بالجبهة فلا بد ان
يكون اثره فيها لان اثر الشيء بقية في الاصل ويراد منه ما يترتب
على تاثيره فيظهر في المحل • قلت الذي قد يكون تاثيره حسيا فانه
محسوس وقد يكون تاثيره معنويا واثره بناسبه وما نحن فيه من
القسم الثاني فان السجود وسائر العبادات يورث نورا وصفاء في
القلب فيظهر اثره في الوجه فيشاهد من نظر اليه فهو امر يدرك
وجدانيا غني عن التعريف • وايضا لو كان المراد من السيما ما يحدث
في الجبهة كان الاولى في التعبير ان يقال سيماهم في جباههم
اثر السجود كما لا يخفى • فان قلت السيما على ما ذكرت هو اثر العبادة
مطلقا فما وجه التخصيص بكونه اثر السجود • قلت تخصيصه بالذكر

لان

لان فيه كمال العبودية لان اشرف اعضاء الانسان في وجهه واذ
اركان العناصر للتراب فوضعه اشرف اعضائه على ذلك الاشياء
السفلية اظهار لكمال تذلله في حضرة كبريائه سلطان غرة الالوهية
تعالى وتقدس وكمال العبودية في كمال التذلل وقوي سيماهم
ذلك • قال العلامة البيضاوي اشارة الى الوصف المذكور واشارة
مبهمة تفسيرها كالرجع انتهى الظاهر ان المراد من الوصف المذكور
جميع ما يدل عليه قوله تعالى اشداء على الكفار الى قوله سيماهم في
وجوههم من اثر السجود والا فان كان المراد ما يدل عليه سيماهم
الى اخره كان المناسب ان يقال هذا بدل ذلك لهذه باعتبار
البداية والنهاية مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل اي
وصفهم العجيب الشان في الكتابين جميعا وقيل تم الكلام عند قوله
في التوراة ثم ابتدا فقال ومثلهم في الانجيل كزرع • اقول
يؤيده ذكر مثلهم ثانيا في جانب المعطوف المثل في الاصل بمعنى النظير
يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول السائر
الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا بما فيه غرابة ولذلك
حوفظ عليه من التغيير والمراد بالمورد الحالة الاصلية التي ورد
فيها الكلام وبالمضرب الحالة المشبهة بها وهو معنى قولهم
الاستعارة التمثيلية متى فشا استعمالها سميت مثلا وعدم تغيرها
من جهة ان المثل استعارة فيجب ان يكون هو اللفظ الدال على
المشبه به ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها
غرابة مثل قوله مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله ولله المثل

الاعلى قال مجاهد هو مثل واحد يعني ان هذه صفتهم في التوراة
والانجيل فلا يوقف على التوراة على هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هما مثلان احدهما في التوراة والاخر في الانجيل فيوقف على هذا
على التوراة **كزرع** يعني هم كزرع وهو في الاصل مصدر زرع
كمنع طرح البذر وهم هنا بمعنى المزروع تمثيل مستانف او تفسير
ان يكون ذلك مبهما او خبر على ان يكون ومثلهم في الانجيل ابتداء
كلام **اخرج شطأه** قال العلامة البيضاوي فراخه يقال
اشطأ الزرع اذا اخرج وفراخ الزرع ما يخرج من اصله ويظهر
مما كان مكونا ومندمجا في استعداده ويؤل اليه ما قال مقاتل
هو نبت واحد فاذا خرج ما بعده فقد اشطأ وما قال الاخفش في
قوله اخرج شطأه اي طرفه وما قال الزجاج اخرج شطأه اي
نباته وما قيل انه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع
وثمان وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فانهم كانوا في غاية القلة ابتداء ثم ازداد واكثروا وكذلك
حالهم في الازدياد الى اخر الدهر وفيه اشارة الى ان المومنين
كبنيان واحد والى ان اهل الايمان كحب زرعه النبي صلى الله عليه
وسلم فاخرج ما كان مندرجا في حقيقته من المومنين كلهم فان قلت
المندرج تحت حقيقة الايمان كان المومنين لا انفسهم قلت نزلوا
منزلة عين الايمان مبالغة واشعارا بانه لما كان المقصود من المومن
هو الايمان كان ما سوى الايمان فيه كالعدم قال الله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون قيل اي ليعرفون وقوي شطأه

تخفيف

بتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وضم
ما قبلها واوا **فآزره** اي فقواه من الموازرة وهي المعاونة او من
المؤازرة وهي الاعانة كذا ذكره العلامة البيضاوي وعن الاخفش
انه افعل اي قواه واعانه وشده اي قوي الشطا والزرع وقيل
بالعكس اي قوي الزرع الشطا وكل وجه والثاني هو الاظهر
فاستغلظ اي فصار من الدقة الى الغلظ والظاهر ان المستتر
راجع الى الشطا لانه وصف الزرع بانه قواه فاذا قواه صار غليظا
فالفا للتفريع ويوييد **فاستوى على سوقه** لان المستقيم على الساق
انما هو الشطا في الحقيقة وارجاع ضمير استغلظ الى الزرع وضمير
استوى الى الشطا تفكيك وانتشار وان كان راجعا الى الزرع
فالفا في المعطوفات للتعقيب المطلق لان الايزار قبل الاستغلاظ
والاستغلاظ قبل الاستواء لان الاستواء على السوق موقوف على
غلظة السوق ولا بد من ارتكاب التجوز حينئذ في قوله فاستوى
لان الزرع لا يستوي على السوق الا باعتبار بعض اجزائه وهو شطأه
والاستواء الاستقامة والسوق جمع ساق وهو قصبة الزرع
هنا والمعنى فاستقام على قصباته وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج
قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وعن عكرمة اخرج شطاه بابي بكر فازره بعمر فاستغلظ بعثمان
فاستوى على سوقه بعلي وهذا مثل ضربه الله لبدء امر الاسلام
وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم
فارد وحده ثم قواه الله تعالى بمن امن معه كما يقوي الطاقة الاولى

من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها انتهى والمقام خطابي فلا يناسب
فيه **يعجب الزراع** اي يعجب هذا الزرع الزارع بكثافته وقوته
وغلظه وحسن منظره واذا اعجب الزارع فهو احرى ان يعجب غيرهم
لانه لا نقصان فيه اذ قد يعجبهم العارفين بعيوب الزرع فلو كان
معيبا لم يعجبهم يقال اعجبه اي حمله على العجب منه لحسنه وفخامته
فيه والزراع جمع زارع واللام للجنس والجملة في موضع الحال
والتشبيه تشبيه التمثيل وهو ما يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد
لا من قبيل المجاز المركب الذي يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة لان
الاستعارة بناؤها على تناسي التشبيه باستعمال اللفظ الدال
على المشبه به في المشبه ولكن اطلاق لفظ المثل يدل على الثاني لان
المجاز المركب اذا فشا استعماله على سبيل الاستعارة يسمى مثلا كما
بيناه انفا فلا تخلص الا بان يراد من المثل المعنى الذي اشرنا اليه
بقولنا استعير لكل حالة او قصة او صفة لها شان وفيه غرابة
واليه اشار العلامة الزمخشري حيث قال في تفسير المثل اي وصفهم
العظيم الشان **ليغيظ بهم الكفار** علة للتشبيه بهم بالزرع في
زكايه واستحكامه فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك او لقوله
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
وانما قدم على المتعلق لمزيد الاهتمام بشان غيظهم ولرعاية الفواصل
ولتكون افتتاح السورة بذكر المغفرة والاجر العظيم للمومنين كما
كان افتتاح السورة بذكر الفتح والمغفرة واتمام النعمة وقوله
منهم للبيان لا للتبعيض لان الوعد لكلهم وكلهم امنوا وعملوا الصالحات

والاجر العظيم هو الجنة • واخرج ابن مردويه والقاضي محمد الزاهري
في فضايل الخلفا الاربعة والديلمي في الالقاب عن ابن عباس رضي
الله عنهما محمد رسول الله والذين معه ابو بكر اشداء على الكفار عمر
رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن
ابي وقاص وابو عبيدة بن الجراح وسلم في الانجيل كزرع اخرج
شطاه فازره بابي بكر فاستغلظ بعمر فاستوى على سوقه بعثمان
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار بعلي وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
اصحاب محمد • روى ابو عروة الزبيري بن ولد الزبير كنا عند مالك
ابن انس فذكروا رجلا ينتقص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرا مالك هذه الاية محمد رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب الزراع
ليغيظ بهم الكفار فقال مالك من اصبح من الناس في قلبه غيظ على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية ذكره
الخطيب ابو بكر قال القرطبي لقد احسن مالك في مقالته واصاب في
تاويله فمن تنقص واحدا اوطعن عليه في روايته فقد رد على الله رب
العالمين وابطل شرايع المسلمين • قال الله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار الاية وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال الله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب
فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم الى غير ذلك من الآي
التي تضمنت الثناء عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح قال الله
تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال للفقراء المهاجرين

الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى
قوله فاولئك هم الظالمون وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم وما
امرهم • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم • وقال لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احدهما
لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه اخرجهما البخاري وفي حديث اخر
فلو ان احدكم انفق ما في الارض لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه
قال ابو عبيد معناه لم يدرك مد احدهم اذا تصدق ولا نصف المد
فالنصف هو النصف ههنا ولذلك يقال للعشر عشير وللخمس خميس
وللتسع تسيع وللثمن ثميل وللسبع سبيع وللسدس سديس وللربع
وسيع ولم يقل للثلث ثليث • وفي البزار عن جابر مرفوعا صحبي اختارني
اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي
اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي وقال في
اصحابي كلهم خير • وروى عوف بن مالك بن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اختارني واختار لي اصحابي فجعل
لي منهم وزرا واختانا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منهم يوم القيمة صرفا ولا عدلا
والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سب اصحابه • وعن عمر بن حبيب قال حضرت مجلس هرون
الرشيد فجرت مسئلة تنازع فيها الحضور وعلت اصواتهم فاحتج
بعضهم بحديث يرويه ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال

قايلون

قايلون لا يقبل هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
ابا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه وراءت الرشيد قد
غاظهم ونصر قولهم فقلت انا الحديث صحيح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وغيره فنظر الي الرشيد نظر مغضب وقمت من
المجلس فانصرفت الى منزلي فلم البث حتى قيل صاحب البريد بالباب
فدخل فقال اجب امير المومنين اجابة مقتول وتحنط وتكفن
فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت عرض صاحب نبيك واجللت نبيك
ان يطعن على اصحابه فسلمني منه فدخلت على الرشيد وهو جالس
على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه
النطع فلما بصر بي قال لي يا عمر بن حبيب استلفاني من الرد والمنع
ما تلقيتني به فقلت يا امير المومنين ان الذي قلته وحاولت عنه
فيه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان اصحابه كذابين
فالشريعة باطلة والفرايض والاحكام والصيام والصلاة والطلاق
والنكاح والحدود كلها مردودة وغير مقبولة فرجع الى نفسه
ثم قال احييتني يا عمر بن حبيب احياك الله وامر لي بعشرة الاف
قلت فالصحابة كلهم عدول اولياء الله تعالى واصفياؤه وخيرته
من خلقه بعد انبيايه ورسله هذا مذهب اهل السنة والجماعة من
ايمة هذه الامة • وقد ذهب شرذمة ولا مبالاة بهم الى ان
حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم ومنهم من فرق
بين حالهم في بداية الامر فقال انهم كانوا على العدالة اذ ذاك لكم

تغيرت بهم الاحوال فظهرت فيهم الحروب وسفكت الدماء فلا بد من
البحث وهذا مردود ان خيار الصحابة وفضلاهم كعلي وطلحة
والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن اثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم
وارضاهم ووعدهم اجرا عظيما وخاصة العشرة المقطوع لهم
بالجنة باخبار الرسول صلعم العذر وه مع علمهم بكثير من الفتن
والامور الجارية عليهم بعد تبينهم باخباره لهم بذلك وذلك غير
مسقط من مرتبتهم وفضلهم اذ كانت تلك الامور مبنية على الاجتهاد
وكل مجتهد مثاب وقيل مصيب والمسئلة مشهورة • ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
امنوا • واخرج السلفي في الطيوريات من طريق يزيد بن هرون
قال سمعت المسعودي يقول ينبغي ان من قرا اول ليلة رمضان
انا فتحنا في التطوع حفظ ذلك العام • اللهم اهدنا بالقرآن العظيم
وانفعنا بالايات والذكر الحكيم • وتقبل منا انك انت الغفور الرحيم
ولا تضرب وجوهنا يا اله العالمين • ويا خير الناصرين برحمتك
يا ارحم الراحمين • وصلى الله على خير خلقه محمد واله
وصحبه اجمعين • تمت الرسالة المباركة
بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه
وسلم

فائدة

اذا اراد المصلي الشروع في فعل فرض من الفروض كالصبح
يستحضر مثلا وجب عليه ان يقلبه بقلبه فعل الصلاة بجميع
اجزائها ولو اجمالا بحيث يعد مصليا ويكون هذا
الفعل المستحضر المعنى المفروض مكررا بتكبيرة
الاحرام وتكفي المقارنة العرفية وهي ان يأتي بما
يجب عليه استحضاره عرفا من قصد الفعل المعين
بكونه ظهرا او غيره مع التعرض لصفته المفروضة
وذكر باي حرف من حروف تكبيرة الاحرام وملحظ
المصلي هذا ان الانسان اذا قال الله اكبر وجب
عليه ثلاثة اشياء القصد والتعيين ونية الفرضية
وتكون هذه الثلاثة المذكورة مقترنة بباي
جزء من اجزاء الله اكبر التي اولها
الهمزة واخرها الراء فمتى اكبر واما اذا اراد في
الشروع في فعل نفل مؤكد او له سبب فيجب
عليه شيئان قصد الفعل وتعيينه فيجب عليه ان
صلى سنة الظهر ان يعينها بكونها قبلية او بعدية
واذا اراد الشروع في فعل نفل مطلق وجب عليه
شيئ واحد وهو قصد الفعل فقط اذا عرفت هذا
فاعلم انه لا يجب تعيين في النفل المطلق ولا تجب نية
النفلية لا في النفل المطلق ولا في المقيد بوقت

او سبب انتهى ما من كلام الشيخنا الشيخ شطا المصري
في مكة المشرفة ه

~~وكما كرر الشيخ ان يشغل اللسان من سائر افكاره~~
~~بلسانه لا اله الا الله وسبحان الله في قلبه الله~~
~~واحد احد في ذاته وفي الصفات وفي افعاله~~
~~فعاله اسرى سعر الشيخ ه~~

فائدة

التحيات جمع تحية وهي ما يحيا به الانسان مما فيه تعظيم
بسلام وسجود ونحو ذلك فمعنى قول المصلي التحيات
التعظيمات والتكريمات المباركات اي النامیات
اجورها الصلوات اي المفروضات اي الخمس في
كل يوم وليلة الطيبات اي الاعمال الصالحات
الخالصة مما يفسدها كالرياء والسمعة وغير ذلك
وقيل ان التحية اسم شجرة في الجنة عليها طائر
يسمى المباركات وتحت الشجرة نهر من
ماء يسمى الطيبات فاذا قال المصلي التحيات
المباركات الصلوات الطيبات لله نزل الطائر
من فوق الشجرة فانغمس في ذلك النهر ثم خرج منه
فينفض ريشه فاذا فعل ذلك خلق الله تعالى من كل
قطرة تقطر منه ملكا يستغفر للمصلي الى يوم القيمة ه

معبر شطا

انتهى ما ذكره الشيخ العلامة الامام الفقيه المحقق
الاريحي الزاهد الورع النواوي

ثم ينبغي للانسان الذاكر لربه تقدس وتعالى انه اذا ذكر الله تعالى
ان يستحضر عند كل ذكر معناه ولو بطريق الاجمال حتى
يثاب عليهم فانه لا يحصل ثواب الذكر الا باستحضار
معناه فيستحضر عند قوله سبحان الله تنزيه ربنا
تعالى عن كل نقص وتطهيره من كل عيب لا يليق بعظمته
تعالى ويستحضر عند قوله الحمد لله وصفه تعالى بعد
بكل جميل والتصافه تعالى بكل كمال يليق بجلال كبريائه
ويستحضر عند قول لا اله الا الله انه واحد في ذاته
احد في صفاته لا شريك له في افعاله واجب الوجود
لذاته لا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم مستغن عن جميع
ما سواه مفتقر اليه ويستحضر عند قوله الله اكبر انه اعظم
من كل كبير واكبر من كل عظيم فالكبراء والعظماء مقهورون
بقدرته واعظميته ويستحضر عند قول لا حول ولا قوة
الا بالله انه لا يتحول عن ~~معصية~~ معصية الله الا بعصمة
الله ولا يقوى على طاعة الله الا بتوفيق الله وعونه
تعالى انتهى من الشيخ

شبكة
الألوكة
www.alukah.net